# عالم جديد

عمر عيد

عالم جديد
عمر عيد
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2018/2875
ترقيم دولي: 978-977-6594-30-4

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla,pub@gmail,com
FB .Com/Fasla .Pub

**جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه**

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

# عالم جديد

## عمر عيد

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

# شكر

شُكري للسحاب الذي رعاني حتّى تساقط الندى منّي، إلى من بالحب غمرُوني وبجميل السجايا أدّبوني إلى أبي وأمّي، حفظكم الله وأبقاكم لناظري، ثم شكري لذاك الوعاء الذي استوعبني، لتلك الوردة التي كنت وهي معًا كاتحاد النجوم في السماء، للـ<بَشْبُورِي>، وأخيرًا وليس آخرًا، شكري لتلك الروح السامية، لذلك الشخص الذي كان عمادي لحظات السقوط .، ومن بين الناس جميعًا، أنت تعلم يقينًا أن هذا الكلام موجّه لك، بلا اسم، ولكن دعني أخبرك أنك ستشعر به حين تقرؤه .

# إهداء

أهديك كتاباتي أيها الكاتب الصغير، يا من أقسمت يومًا على أن تصل، يا من لولاك ما كنت هنا، يا من أصررت وثابرت، يا من جاهدت واجتهدت، يا من كُنتَ أنا يومًا كما لم أكن أنا من قبل، يا من أخبرتني أن الدرب طويل، ولكنك كذلك بقيت بجانبي طوال ذلك الدرب، يا أيها الطفل الذي لم يفارقني حتَّى اللحظة، أخبرك أنني فخور بك، وأننا وصلنا .

# الجزء الأول: كوارث
## الفصل الأول: الخلل

في أحد أيام فصل الصيف في شهر يوليو، وداخل أحد تلك الحقول الواسعة المنتشرة بكثرة، جلس خمسة من الشباب مشكلِّين نصف دائرة حول كهلٍ عجوز، يرتدي -مثلهم- ملابس بسيطة المظهر .

السماء صافية في تلك الساعة، الشمس مشرقةٌ تبعث أشعتها بهدوء لتضفي مشهدًا خياليًا، يصف عظمة الخالق -عزَّ وجلَّ- في كل سكنة من سكناته .

حين بدأ أحد هؤلاء الشبَّان يتحدث بلهجة مُلِحَّة، قائلًا:

*حسنًا يا أستاذ دافيد، لقد نفذنا كل ما طلبته منَّا، هل يمكنك الآن أن تخبرنا بما نريد معرفته، أرجوك؟

ابتسم الكهل بهدوء، وقال بصوتٍ هادئ وقور:

*إذًا فأنتم تريدون معرفة الماضي، ولكن خذوا حذركم؛ فلن يكون من السهل أبدًا على عقولكم الصغيرة أن تستوعب ما حدث كاملًا .

نظر إليه الطلاب بلهفة أكثر، وقال شابٌ آخر:

*هيَّا أخبرنا بما حدث يا أستاذ، واترك لنا مهمة الفهم من عدمه .

التقط العجوز نفسًا عميقًا وقال:

*فلنبدأ إذًا الرواية، وليحدث ما يحدث .

وضع الشباب جميعهم آذانهم داخل فمِّ الكهل، حين تحدَّث قائلًا:

*قبل أن أبدأ في قصِّ ما حدث عليكم، يجب أولًا أن أعطيكم نبذة عمَّا آلت إليه الأمور، لقد بدأت قصَّتنا عام ٢٢٥م، كان العالَم قد وصل إلى أوج التكنولوجيا -كما يقولون- كان كل شيءٍ يسير بالتكنولوجيا، من استيقاظ المرء من نومه، وحتَّى عودته إلى النوم مرَّة أخرى .

صمت دافيد قليلًا ليلتقط أنفاسه، ثم أكمل:

---

*عندما تكتب أوتقرأ فأنت تستخدم الحاسوب المحمول، لم يعُد هناك ما يدعَى بالكتب، فقد أصبحت مجرَّد زينة يضعها الأغنياء على جدرانهم، وهم حتَّى لا يعلمون ما هي، أوماذا تقول، كانت الشبكة العنكبوتية قد تطوَّرت أكثر التطوُّر، ولم يعد هناك ما يحتاجه الإنسان وليس موجودًا عليها، حتَّى أننا قد عدنا إلى النظرية القديمة التي تقول أنه: "حين يموت الشخص فإنه يجب أن يوضع في توابيت خاصة، وأنَّ نوعَ التابوت يساعد الميِّت يوم الحساب" .

ابتسم العجوز حين رأى نظرة عدم التصديق على وجه طلابه، فأكمل:

*ومنذ ذلك الحين بدأ كل شخص بشراء تابوت خاص، واكتمل تدخُّل التكنولوجيا هنا أيضًا، ليصبح التابوت مكيَّفًا من الداخل كي يستريح صاحبه بعد موته .

للمرَّة الثالثة صمت دافيد ليلتقط أنفاسه، ثم قال:

*هذا يكفينا كمقدمة، والآن هيَّا نبدأ في رواية الأحداث .

هل أنتم مستعدُّون؟

هيا بنا .

* * *

تقدَّم ذلك العالم الشاب -أحد علماء التكنولوجيا- داخل المكتب الواسع الذي اعتاد العمل عليه منذ زمنٍ ليس ببعيد، وسند كوبَ القهوة على المكتب وهويقول بهدوء:

*اللعنة على هذا العمل، ألن ينتهي أبدًا؟

ثم تململ في جلسته قليلًا، واعتدل بعدها أمام شاشة الحاسوب العملاقة أمامه .

اتجهت يده إلى زر التشغيل، قبل أن تتوقف بسرعة عندما انتبهت أذناه إلى صوتِ هاتفه المحمول، التقطه بسرعة ليجد اسم رئيس القسم الذي يعمل به، فأطلق نفسًا حارًا وكأنه يعلم مسبقًا ما سيقوله الرئيس، ثم ضغط على زرِّ الإيجاب ليأتيه صوت الرئيس قائلًا:

*أهلًا يا سيِّد هاشم، أريدك في مكتبي حالًا .

ثم أغلق الرئيس الخط ليترك الدكتور هاشم غارقًا في التساؤلات التي لا

تنتهي، فلقد كان يتوقَّع أن يصرخ الرئيس طالبًا منه أن ينتهي من الأبحاث التي أوكلها إليه، ولكن صوت الرئيس جاء على غير عادته هذه المرَّة هادئًا جدًا، وكأنه قد أبدل شخصيته تمامًا .

وكعالِم مخضرم، انطلق الدكتور هاشم إلى مكتب الرئيس؛ حتَّى لا يترك نفسه حائرًا بين كل هذه التساؤلات، ولكنه لم يكد يصل إلى غرفة الرئيس حتَّى توقَّف أمامها قليلًا .

لم يكن تردُّده هوالسبب الوحيد، ولكن أيضًا لأنه شاهد ثلاثة علماء آخرين يقفون أمام باب الرئيس، تبدوعلى وجوههم علامات الحيرة والتردد، مثله تمامًا .

عندما شاهده العلماء الثلاثة، شعروا جميعًا أن الأمر ليس بسيطًا أوهيِّنًا؛ فجميعهم يعلمون أن الرئيس هوأكثر من يقدِّر قيمة الوقت، ويُؤنِّب دائمًا من يهدره، وهولن يخاطر بإحضار أهم أربعة علماء داخل المركز إلَّا إذا كان الأمر شديد الأهمية .

وقد اتفقوا جميعًا على ألَّا يضيعوا وقتًا في النظر إلى بعضهم البعض، فتقدمهم الدكتور هاشم وضغط على زرٍّ صغير داخل الحائط، بعدها بدأت عملية التعرُّف على الشخصية من قِبَل الكمبيوتر .

لم تمضِ خمسُ دقائق، حتَّى كان العلماء الأربعة داخل حجرة الرئيس، وكان الرئيس يقف في نهاية الغرفة مواجهًا الحائط، وشابكًا يديه الاثنتين خلف ظهره، فتقدم أحد العلماء قائلًا:

* ما الأمر يا سيدي؟

التفت الرئيس إلى العلماء الأربعة، بوجهٍ كاد أن يُحاكي وجوه الموتى، وعينين جاحظتين يبدوعليهما الخوف الشديد، وقال بلهجةٍ حاول باستماتة أن يجعلها متماسكة قدر الإمكان:

* لقد حدث ما لم يتوقعه أكثر المتشائمين على مدى التاريخ .

اقترب منه عالمٌ آخر، قائلًا:

* ماذا تقصد يا سيِّدي؟ ما هذا الذي حدث؟

أخذ الرئيس نفسًا عميقًا، أوأنه قد حاول ذلك على الأقل، ثم اتجه إلى مكتبه

وضغط زرًّا في نهايته، أضيئت شاشة واسعة في نهاية الغرفة، في حين جلس هوخلف مكتبه قائلًا:
*ما ستسمعونه الآن هوما بعثته الولايات المتحدة للعالم أجمع بعد أن حدثت أكبر كارثة شهدتها البشرية على الإطلاق .
انتبه العلماء جيدًا إلى المقطع الذي يُعرض على الشاشة، ومع كل دقيقة تمُر كانت وجوههم تزداد امتقاعًا، ومع كل ثانية تنتهي كانت أنفاسهم تتسابق إلى الخروج والدخول بصعوبة .
وهذا لأن ذلك المقطع لم يكُن عاديًا .
لم يكن عاديًا أبدًا .

*  *  *

وقف الرئيس الأمريكي أمام الحشد الهائل داخل قاعة المؤتمرات في مدينة واشنطن، وبدأ في إلقاء الخطاب قائلًا:
*أيها السادة، أن الأزمة التي نواجهها هذه المرَّة ليست فقط داخل أراضي الولايات المتحدة، وإنما هي في العالم أجمع، فلقد انهار الاقتصاد العالمي انهيارًا شبه كاملًا، وخسرت جميع الدول خسارات فادحة، كلفت بعض الدول المتقدمة النزول إلى خط الدول النامية .
ثم التقط أنفاسه بصعوبة، وقال:
*وبعد أن حدث كل ما حدث، فقد رأيت أنه من واجبي أن أخبركم -والعالم أجمع- بتفاصيل تلك الحادثة كاملة .
انتهى الرئيس من كلمته ثم جلس بعيدًا عن الميكروفون، وتقدم بعده رجلٌ في أواخر الثمانين من عمره، ووقف مكان الرئيس، وأخذ نفسًا عميقًا ثم قال:
*لقد بدأت الكارثة داخل أحد المعامل التكنولوجية الأمريكية، عندما كان فريق من العلماء يقوم بتطوير نوع جديد من الفيروسات الإلكترونية، وكانت الفكرة هي أنه إذا تم تطويع هذا الفيروس وتم التحكم به بنجاح، فإن العلوم التكنولوجية ستقفز قفزة ضخمة لم يشهد العالم مثلها يومًا .
ثم امتلأت نفسه حسرة، وهويكمل:

---

*ولكن للأسف فالريح تَهُب دائمًا بما لا تشتهي السفن، لقد كان اليوم هواليوم الأخير للعمل على الفيروس، وكان من المفروض -أن نجحت التجربة- أن يتم العمل على الفيروس من أجل تطوير الكثير من الأجهزة الحديثة، ولكن المشكلة أن هذا الفيروس قد اكتسب من الذكاء الاصطناعي أكثر مما يجب، وعندما قام العلماء بإدخال الفيروس على شبكة الإنترنت، قام تمامًا بعكس ما تم صناعته من أجله، فبدلًا من أن يكون طوعًا بيد العلماء، قام الفيروس بتدمير الشبكة تمامًا .

ثم نظر إليهم برعبٍ وهويقول:

*نعم أيها السادة، لقد أُبيدت شبكة الإنترنت تمامًا، وبلا رجعة .

* * *

توقف المقطع الذي يعرضه رئيس قسم التكنولوجيا على العلماء الأربعة، ولكن قلب العلماء لم يتوقف عن الانقباض بصورة هائلة .

ووقف كلٌ منهم يحدق في الشاشة التي أمامه ذاهلًا، بالرغم من أنها عادت إلى لونها الأسود مرَّة أخرى .

ثم كان الدكتور هاشم هوأول من تحدَّث، عندما قال:

*ولكن أليس من الممكن أن تكون كل هذه مجرد خدعة، قامت بها الولايات المتحدة لإرباك الاقتصاد العالمي، في حين تنهض هي باقتصادها إلى الأعلى؟

أجابه الرئيس:

*أن هذه الحادثة قد حدثت منذ ربع الساعة فقط من الآن، وأحدٌ لم يحاول بعد التفتيش في الأمر، وهذا ما أحضرتكم هنا من أجله أنتم الأربعة، فلقد أمر الرئيس المصري بإعداد فريق بحث من العلماء ورجال المخابرات للبحث في الأمر، وتقديم جميع المعلومات المطلوبة في أقل وقتٍ ممكن، وبأقصى سرية ممكنة .

تقدم الدكتور فاروق -مدير مركز الأبحاث العلمية- وقال:

*ولكن يا سيدي، ما الذي سيكون بيدنا عمله، من دون استخدام الشبكة؟

نظر إليه الرئيس مليًّا، ثم قال:

*أن هذا السؤال بالذات هوالذي سيكون على العالم كلُّه طرحه إذا فشلتم أنتم

في إيجاد الحل، لذلك فإنكم ستكونون أمل مصر الأول، بل أمل البشرية كلها أن صحَّ القول .
ثم نظر إلى الدكتور هاشم قائلًا:
*ولكنكم لن تكونوا بمفردكم، فسيكون جهاز المخابرات في عونكم، وسيمدُّونكم بكل الأدوات والوسائل التي ستحتاجونها .
ثم نظر إلى ساعته، وقال:
*هيَّا، وفقكم الله جميعًا .

*  *  *

جلس الدكتور هاشم على فراشه غارقًا في التفكير العميق، يحاول جاهدًا أن يجيب على هذه التساؤلات، التي تملأ كيانه بشدة، وتأبى أن تترك عقله إلا بعد أن تمزقه إربًا .
كيف سيتمكن من التصرُّف في هذه المعضلة الضخمة؟
ما الذي عليه فعله، بدون استخدام الشبكة؟
والسؤال الذي شغل معظم تفكيره هو، ما هي الخطوة الأولى؟
وكعالم يعلم قيمة الوقت جيدًا، فهولم يرد أن يضيع ثانية واحدة، وقام واقفًا واتجه إلى خزانة ملابسه، وقد قرر أن يبدأ العمل من الآن .
ثم نظر إلى ساعته ليجدها تشير إلى الثالثة فجرًا، فالتقط معطفه الجلدي واتجه إلى باب منزله، ومنه إلى سيارته .
كان الطريق خاليًا من السيارات؛ مما أتاح له فرصة الوصول إلى هدفه بسرعة، حتَّى تنفس الصعداء عندما شاهد أمامه مبنيًا شبه متهالك، تناثرت حوله الصخور حتَّى ليبدوأنه لم تطأه قدم منذ مئات السنين، ولكن الدكتور تقدم إلى داخل المبنى ليجد سُلَّمًا يهبط إلى الأسفل .
بدأ الدكتور في النزول إلى الأسفل ليجد بابًا شبه مختفي بجانب الحائط، لمس العالم الباب بيده لتخرج لوحة مفاتيح من الجانب الأيمن، بدأ هوفي كتابة بعض الأرقام عليها .
مضت دقيقتان بدأ بعدها الباب يتحرك إلى أحد الجانبين بهدوء، ليترك

مساحة للدكتور ليعبر إلى الداخل، ويُغلق الباب خلفه مرَّةً أخرى .
بعد أن عبر العالِم المدخل، وجد ممرًا طويلًا مُضاءً باللون الأزرق الفاتح، مما بعث بعض الارتياح في نفس العالم، ولكنه لم يكد يتقدم خطوة واحدة حتَّى ظهرت ثلاث خيوط من الأشعة من جميع الاتجاهات حوله وبدأت بالدوران بهدوء .
كان العالِم يعلم أنها إجراءات الأمان والتحقق من الشخصية، انتظر بضع دقائق حتَّى تحوَّل لون الأشعة إلى اللون الأخضر ثم اختفت مرَّة أخرى .
تقدَّم العالِم بعد هذه الاختبارات على طول الممر حتَّى وجد بابًا في النهاية، جذبه ليجد نفسه داخل قاعة متوسطة الحجم، يجلس في نهايتها رجلٌ في العقد الثامن من عمره .
اتجه العالِم نحوالرجل وصافحه قائلًا:
*الدكتور هاشم، من المركز العلمي التكنولوجي .
أجابه الرجل بهدوء:
*تفضَّل من هنا يا سيد هاشم، لقد خصص رئيس المخابرات غرفة خاصة لك ولفريقك، وفي الواقع لقد وصلوا في وقت مبكر هذا اليوم .
ظهرت الدهشة على وجه العالِم، وقال:
*حقًا!! لقد ظننت أنني سأكون أول من يأتي، ولكن إن هذا مبشر بالخير على أية حال .
سار العالِم مع الرجل في ممر واسع وتوقفا أمام باب الغرفة المعنيَّة، ثم جذب الرجل مقبض الباب ليكشف عن غرفة واسعة، بها بعض الآلات الحديثة .
تقدَّم العالِم داخل الغرفة وألقى التحية على العلماء الثلاثة، وقال ضاحكًا:
*ما هذا النشاط المفاجئ يا أصدقائي العلماء؟ لقد ظننت أنني سأكون أول من يصل، ولكن ها أنا ذا أجدكم أمامي، لماذا لم تخبروني أنكم قادمون؟
ابتسم الدكتور فاروق، وقال:
*لم نُرِد أن نوقظك أيها النعِس .
وقبل أن ينبس أحدهم ببنتِ شفة، أخبرهم الرجل الذي قابلهم من قبل أن

رئيس المخابرات يريدهم في مكتبه غدًا الساعة الواحدة ظهرًا، ثم تركهم ليعدُّوا أنفسهم واتجه مرَّة أخرى إلى غرفة الاستقبال .

*  *  *

## الفصل الثاني: الكارثة الكبرى

وقف رجلٌ في أواخر الثمانين من عمره أمام الشاشة الضخمة الموجودة وسط ميدان التايمز العام، يرتدي زيًّا أسود اللون، واضعًا قبعَّة ضخمة فوق رأسه تغطِّي وجهَهُ .

كان يستمع إلى ذلك الخطاب الذي سجله رئيس الأمم المتحدة بشأن ذلك الفيروس الذي انتشر ليقضي تمامًا على شبكة الإنترنت .

وابتسم بهدوء وهويقول بصوت لم يسمعه أحد غيره:

*يا لهذا العالَم المسكين . . إنه لم يحتمل تلك الهديَّة الصغيرة، فماذا سيفعل في القادم يا تُرَى؟

ثم أطلق ضحكة قصيرة . . وبدأ في التحرُّك بهدوء حتَّى اختفى وسط الحشود الهائلة في الشارع . . .

* * *

وقف العلماء الأربعة أمام غرفة رئيس المخابرات، ثم ضغط الدكتور هاشم زِرًّا صغيرًا على الحائط بجانب الباب، بدأ الباب بالتحرك بهدوء تاركًا لهم مسافة كافية للعبور .

لم تكن غرفة رئيس المخابرات تختلف كثيرًا عن غرفة رئيس قسم المعمل التكنولوجي، وكان هوجالسًا على الكرسي المواجه لمكتبه بهدوء ووقار .

تقدَّم العلماء الأربعة داخل الغرفة ووقفوا في مواجهة الرئيس، في حين قال هو:

*أهلًا بكم يا سادة، أعتقد أنكم على علمٍ بكل تفاصيل الكارثة، كما أوضحها السيد رئيس الولايات المتحدة، ولذلك أرجوأن نباشر بالعمل فورًا .

ثم اعتدل في جلسته، ونظر إليهم قائلًا:

*بما أن المشاكل كلها قد بدأت من الولايات المتحدة، فأفضل طريق للبحث

هوالذهاب إلى هناك والبحث عن كل المعلومات اللازمة، وكل ذلك سيكون بأكبر قدر من السرية؛ فنحن لا نريد أن نثير الشكوك حولنا بأي قدر .
بعد أن أنهى حديثه، اتجه إلى خريطة تشغل معظم الحائط المقابل لمكتبه، وقال وهويشير عليها:
*ستتخذ الولايات المتحدة كل الحذر؛ حتَّى تمنع وجود محققين داخل أراضيها، ولهذا فإنه سيكون عليكم الانفصال، سيأخذ كل منكم موقعًا هناك محاولًا الحصول على كل المعلومات اللازمة، وهل للولايات المتحدة يد فيما حدث؟ أم أنها فعلًا مجرد حادثة؟
أومأ العلماء برؤوسهم علامة الفهم، فأكمل الرئيس:
*السيِّد سامح سيتجه إلى مدينة شيكاغو، والسيِّد فاروق سيتجه إلى مدينة لوس أنجلوس، ستتجه السيِّدة سلمى إلى مدينة لاس فيجاس، أما السيِّد هاشم فسيتجه إلى مدينة واشنطن حيث كانت الحادثة، وسيكون بانتظار كل منكم شقَّة مُستأجرة لطول مدة الزيارة، ومساعد من داخل جهاز المخابرات سيمدكم بكل ما ستحتاجون إليه من أدوات ومعلومات .

* * *

مضى يومٌ كامل منذ أن التقى العلماء برئيس المخابرات، بدأ كلٌ منهم في إعداد حقائبه للسفر، وكل منهم يفكر فيما يجب عمله هناك .
وفي بداية اليوم الثاني كان كل منهم يستقل طائرته التي ستقلُّه إلى المكان المتفق عليه .
وفور أن وصلوا جميعًا إلى مواقعهم، اتجهوا فورًا إلى المكان الذي سيكون مسكنهم طوال فترة مكوثهم، وكان رجال المخابرات بانتظارهم هناك .
مضى يومٌ كامل وكل العلماء يقومون بإعداد الأدوات التي سيستخدمونها في مهمتهم، وقد أعطاهم رجال المخابرات سماعات صغيرة الحجم حتى يستطيعوا التواصل دائمًا .
وفي صباح اليوم التالي بدأ العلماء في العمل فورًا، وكانوا قد اتفقوا على تقسيم أماكن البحث؛ حتى يسهل عليهم البحث في أسرع وقت ممكن .

كان الدكتور هاشم يقول:
*بما أننا اتفقنا على تقسيم أماكن البحث، فسأحاول أنا البحث داخل بعض الشركات الضخمة المنتشرة داخل واشنطن .
أكملت سلمى:
*أما أنا فسأحاول التحدث إلى رجال الأعمال، والحصول على بعض المعلومات .
وقال فاروق:
*أنا لي أصدقاء كثر في أحد المعامل الحاسوبية، ويمكنني أن أبحث هناك .
وقبل أن يتحدث سامح، أسرع هاشم يقول:
*انتظر يا سامح، أظن أنني سأحتاجك في مهمة أخرى، إن لي صديقًا يقيم هنا في مدينة شيكاغو، يمكنه مساعدتنا في بعض الأمور، فسأحتاج منك أن تعثر عليه وتجعلني أتواصل معه .
أجاب سامح بهدوء:
*حسنًا يا هاشم، أخبرني بمعلومات هذا الشخص، وسأجده لك .
مضى بعض الوقت والعلماء يتفقون على خطتهم، حتى انتهوا جميعًا من الحديث، فقال هاشم:
*حسنًا، دعونا لا نضيع المزيد من الوقت، فلنبدأ بإذن الله .

* * *

انتشر الهدوء داخل أحد المنظمات العسكرية السرية التي تضم كل ما يتعلق بكلمة نووي داخل روسيا .
وتثائب الحارس الذي يجلس أمام شاشة المراقبة، قائلًا:
*يا لهذا العمل، إنها منظمة شديدة السرية ولا أحد في العالم يعلم بمكانها، فلماذا يحتاجوننا إذًا؟
اعتدل زميله الجالس بجانبه، وابتسم قائلًا:
*يا لسذاجتك يا هنري، ألا تعلم أنك تحرس أكبر مساحة جغرافية تحتوي على الطاقة النووية في العالم؟
تثائب الحارس بقوة مرة أخرى ونهض من على مقعده بهدوء، ونظر من

النافذة إلى السماء السوداء الصافية، وقال:
*أتمنى أن تنتهي فترة الخدمة هذه بسرعة، فأن . . . .
لم يكمل الحارس جملته، فنظر إليه زميله قائلًا:
*ماذا حدث؟ لماذا توقفت؟
أسرع الحارس إلى الأجهزة الموجودة على المكتب أمامه، ضغط بضعة أزرار عليها قبل أن يطلق نفسًا حارًا ويقول:
*لقد اعتقدت أنني رأيت ظلال أشخاص تتحرك خارج أراضي المنظمة، ولكن المهم أن الأجهزة مستقرة و . . .
قطع الحارس عبارته للمرة الثانية، ولكن هذه المرة قد أسكته صوت دمر الهدوء المنتشر داخل المنظمة، وأبدله برعب ليس له مثيل .
ذلك لأن هذا الصوت لم يكن يعني إلا شيئًا واحدًا .
أحد المفاعلات النووية على وشك الانفجار،
وبمنتهى العنف .

*  *  *

كان هاشم يتحدث مع أحد موظفي شركة ضخمة، كانت تعمل في مجال التسويق الإلكتروني قبل أن تنتهي شبكة الإنترنت، عندما صدر في السماعة الدقيقة في أذنه صوت آخر شخص كان يتوقع سماعه في هذا الوقت، وهو رئيس المركز التكنولوجي في مصر، فأخذ هاشم ركنًا جانبيًا وقال:
*مرحبًا يا سيدي، لم أتوقع أن تتصل بي في هذا الوقت .
سأله الرئيس بدون أن يرد على تحيته، قائلًا:
*هل سمعت ما حدث يا هاشم؟
كان صوت الرئيس يبدو شديد الذعر، مما جعل هاشم يهتف:
*ماذا هناك يا سيدي؟
أجابه الرئيس بانفعال:
*لقد حدث منذ ثلاث ساعات اثني عشر انفجارًا، في اثنتي عشرة دولة مختلفة، وفي نفس الوقت .

سأله هاشم بتردد:
*ولكن لماذا هذا الخوف يا سيدي؟ إن الكثير من الانفجارات الإرهابية تحدث يوميًا، ولكن الوضع يكون دائمًا تحت السيطرة .
ظهر صوت الدكتور سامح في هذه اللحظة يقول:
*ذلك لأن هذه الأماكن لم تكن عشوائية يا هاشم، ولا يمكن احتوائها هذه المرة؛ ذلك لأنها ببساطة حدثت في أماكن تخزين الطاقة النووية العالمية .
فسأل هاشم:
*ولكن كيف ما زال هذا الكوكب قطعة واحدة؟ لقد أثبتت البحوث العلمية أن انفجار ثلاث قنابل نووية في وقت واحد قادر على تحويل هذا الكوكب إلى فتات، فما بالكم باثنتي عشرة محطة؟ ثم وكيف علمنا نحن هذا الخبر؟ أليس من المفروض أن يبقى هذا الأمر سرًا؛ حتى لا تستغل دول أخرى هذا الأمر؟
أجاب الرئيس:
*إن ما قلته صحيح علميًا يا هاشم، ولكن الفارق هنا أن الطاقة النووية بأكملها كانت قد اختفت تمامًا قبل الانفجارات، والذي انفجر هناك كان بضعة قنابل شديدة الانفجار، حتَّى أن أحد لم يصَب بمكروه .
أكمل سامح:
*ولقد حاول رؤساء هذه الدول إخفاء الأمر كما ينبغي، ولكنهم علموا بعد ذلك أن الكارثة عالمية، فقرروا عقد مؤتمر عاجل يحضره الرؤساء الاثني عشر، ويحاولوا دراسة الأمر عن كثب .
خيم على المكان صمت رهيب، ترك ثلاثتهم في تفكير غير محدود، عندما ارتفع بغتة صوت أحد رجال المخابرات الموجودين داخل الولايات المتحدة، وقال:
*سيد هاشم، لقد اختفى السيد فاروق تمامًا .
سأله هاشم بتوتر شديد:
*ماذا تعني بأنه قد اختفى؟
ابتلع الرجل ريقه بصعوبة، وقال:

*منذ أن بدأت هذه المهمة، وأنا أتابع تحركاتكم على خريطة متصلة بالقمر الصناعي، ولكن إشارة الدكتور فاروق قد اختفت بغتة من على الخريطة، وبدون أثر .

# الفصل الثالث: العودة

جلس فاروق داخل أحد المعامل التكنولوجية يتحدث مع بعض أصدقائه الذين ذكرهم من قبل .
كان يحاول أن يستخلص منهم بعض المعلومات التي من الممكن أن تساعدهم في البحث، عندما تحوَّل لون المعمل بالكامل إلى الأحمر، وانتشر صوت الإنذار في كل مكان .
نظر فاروق إلى أصدقائه متسائلًا، فأجابه أحدهم:
*إن أحدًا ما يحاول دخول المعمل بالقوة .
ثم هبَّ واقفًا وحاول أن يتحرك نحو الباب، ولكنه لم يستطع الحراك مطلقًا .
ليس فقط بسبب الخوف والتردد، ولكن لأنه لاحظ أن المكان قد امتلأ بالغاز المخدر .
حاول الدكتور فاروق وأصدقائه أن يتحركوا بكل ما لديهم من قوة، ولكنهم عجزوا عن ذلك تمامًا، وقد بدأ الضوء يختفي تدريجيًا حتَّى تحول كل شيء إلى اللون الأسود، ووقعوا جميعًا في غيبوبة عميقة ليس لها قرار .
وفجأة، سطع النور مرة أخرى بغتة .
بالضبط كانتقالك من السطر الأول إلى الثاني، فإن الوقت بالنسبة للعلماء لم يتعدَّ ثانية واحدة .
وبالرغم من شدة الضوء، فقد اضطرهم ما حولهم إلى التحديق بقوة .
فقد كان ما حولهم عجيبًا .
عجيبًا بحق .

*  *  *

جلس هاشم مع رجل المخابرات داخل واشنطن يحاول أن يفهم ما حدث

لفاروق .
عندما قال:
*أخبرني بكل الطرق التي من الممكن أن تختفي إشارة فاروق عن جهازك بها .
أجابه الرجل:
*هناك طريقتان تجعلاني أفقد إشارة أحدكم، وهي إما أن يفقد سماعة أذنه، وإما أن يكون جالسًا في مكان محاط بالطاقة الكهرومغناطيسية .
سأله هاشم:
*لقد قال أنه ذاهب إلى أحد المعامل الحاسوبية، فهل تعتقد أن يكون المعمل محاطًا بهذا النوع من الطاقة؟
صمت الرجل بضع لحظات مفكرًا، وقبل أن يجيب، صدر صوت سامح قائلًا:
*لقد استطعت أن أجد رجلك يا هاشم، ويمكنك التحدث إليه الآن .
ابتهجت ملامح هاشم، وقال بسعادة:
*أهلًا يا دافيد، لقد اشتقت إليك يا صديقي .
صدر صوت دافيد، يقول ضاحكًا:
*إذًا فهو أنت حقًا يا هاشم، إنني لم أصدق الأمر في البداية، تُرى ما الذي ذكَّرك بي بعد كل هذه السنين؟
أجابه هاشم:
*بصراحة، إنني في حاجة ماسَّة إلى مساعدتك يا صديقي، وكنت أتمنى أن تأتي لتقابلني هنا في واشنطن .
صمت دافيد قليلًا، ثم قال:
*حسنًا يا هاشم، لا يمكنني أن أرفض طلبك .
وقبل أن يجيب هاشم، التقطت أذنه صوت رئيس المخابرات قائلًا:
*لقد انتهى وقتك يا هاشم، يبدو أنهم قد بدأوا يشكون في وجودكم، ولذلك فسيكون عليكم الرحيل من هناك بأسرع وقت، ستكون هناك طائرة خاصة بانتظاركم غدًا في واشنطن .
قال هاشم:

*ولكن يا سيدي، إن فاروق مفقود منذ البارحة، ولم نجد له أثرًا حتَّى الآن .
صمت الرئيس قليلًا، ثم قال:
*سأترك مهمة البحث عنه لرجالي هناك، ولكن المهم الآن أن يعود ثلاثتكم غدًا مساءً .
أنهى الرئيس المكالمة، تاركًا هاشم وسط أفكاره المتزاحمة .
حين سمع صوت سامح يقول:
*ماذا الآن يا هاشم؟
أجابه هاشم:
*لا خيار لدينا، سأنتظركم هنا في واشنطن صباح الغد، ولندعو الله أن يكون فاروق بخير، فلن أسامح نفسي أبدًا إذا ما حدث له أي مكروه .

* * *

مضى نصف يومًا منذ أن اتَّفق العلماء على التجمع داخل واشنطن، ولكن هاشم لم يذق طعم النوم ذلك اليوم .
كان النهار صافيًا جدًا،
والشمس ساطعةً تنير تلك الحديقة التي اختارها هاشم ليصفي ذهنه .
ويحاول التفكير بهدوء .
كان يقول لنفسه:
*إن الكارثة هذه المرة ليست صدفة ولكنها بفعل فاعل، وهذا يفسره اختفاء الطاقة النووية قبل الانفجار .
صمت قليلًا، ثم قال:
*إن هذا يجعلني أفكر بتغيير رأيي عن الكارثة الأولى، ماذا لو أنها أيضًا بفعل فاعل؟ ماذا لو أن هناك من يتسبب -عمدًا- في هذه الكوارث؟
قطع تفكيره صوت سامح يقول:
*نحن جميعًا هنا يا هاشم، فأين أنت الآن؟
أجابه هاشم:
*إنني أبعد عنكم خمس دقائق، سوف آتي سريعًا الآن .

---

بعد مرور خمس دقائق كان هاشم يجلس مع فريقه .
عندما وجَّه حديثه إلى دافيد، قائلًا:
*سأطلب منك أن تسافر معنا إلى مصر يا دافيد، فأنا في أمس الحاجة إلى مساعدتك الآن .
ابتسم دافيد قائلًا:
*تعلم أنني لا أرفض لك طلبًا يا هاشم، ولكنني مفلس كما ترى، ولن . . . .
قاطعه هاشم ضاحكًا:
*وما الجديد؟ إنني لم أعرفك إلا مفلسًا يا صديقي، ولكن لا تخف فسوف تكون رحلة مدفوعة التكاليف .
ضحك دافيد قائلًا:
*إذا كان الأمر كذلك، فلتشركني معك في كل رحلاتك القادمة .
ضحك الجميع على جملته، حين صدر -بغتة- صوتٌ غير واضح، ولكنه مألوفٌ لديهم .
ليتضح بعد ذلك أن يكون صوت آخر شخصٍ توقعه أحد في هذه اللحظة .
وهو صوت الدكتور فاروق شخصيًا .
كان يقول بتلعثم:
*هاشم، هل تسمعني؟
أجابه هاشم بسرعة:
*نعم يا صديقي، أنا أسمعك جيدًا، أين كنت؟ لقد اختفيت منذ يومين ولم نعلم مكانك .
*إن ما رأيته عجيبًا حقًا يا هاشم، إنكم لن تصدقوا ما سأقوله أبدًا .
قال سامح:
*المهم أنك الآن يجب أن تعود إلى واشنطن يا فاروق، لقد انتهت مدة إقامتنا هنا، وسنستقل طائرة خاصة من واشنطن خلال ثلاث ساعاتٍ من الآن .
مضت ساعتان منذ أن التقط الجميع صوت فاروق، حين وجدوه بعدها أمامهم داخل منزل هاشم في واشنطن .

---

كان وجهه يوحي بالتفكير العميق، حين بدأ كلامه قائلًا:
*لقد كنا مخطئين يا رفاق، إن الولايات المتحدة ليس لها أي دخل في جميع تلك الكوارث التي يشهدها العالم .
نظر له الجميع بتساؤل، فابتسم قائلًا:
*ألن يتم عقد ذلك المؤتمر بين رؤساء الدول الاثنتي عشرة اللاتي فُقد كل ما لديها من وقود نووي؟ سيكون هذا المؤتمر هو البداية يا رفاق، بداية النهاية .

* * *

# الفصل الرابع: الحقيقة

امتلأت القاعة الضخمة بالعديد من رجال الإعلام، وكل منهم يحاول القيام بعمله بإتقان؛ ليحصل على كل المعلومات والصور الواضحة لذلك المؤتمر العالمي .

كانت قاعة المؤتمرات المصرية، الموجودة داخل المكتبة المركزية داخل جامعة القاهرة هي المكان الذي تم اختياره ليُعقد به المؤتمر .

وقد تم اختيار مصر لكونها الدولة الوحيدة التي بقيت محايدةً دائمًا، ولم تتخذ يومًا جانبًا في أي نوع من الصراعات .

فضلًا عن كونها بلد السلام الأولى في العالم أجمع .

وبعد انتهاء التجهيزات داخل القاعة، دخل الرؤساء الاثنا عشر إلى القاعة، واتخذ كلٌ منهم مكانه المحدد، حين أُعطيت الإشارة ببدء المؤتمر .

كان الوضع بأكمله مستقرًا تمامًا ولا يدعو للريبة، حين -وبغتة- انطفأت الأضواء جميعها .

وبكلمة (جميعها) نعني كل الأضواء .

بما في ذلك أضواء كاميرات المصورين أيضًا .

وأضيئت في نهاية القاعة ثلاث شاشات عملاقة، ظهر عليها رجلٌ في أواخر الأربعين من عمره، يرتدي زيًّا قديم الطراز يعود إلى القرن السابع، أو السادس عشر .

وبدأ الرجل الحديث، قائلًا:

*أنا أعلم أن جميعكم في اضطرابٍ شديد بشأن تلك الأحداث التي انتشرت مؤخرًا، وأن معظمكم كان قد بدأ يفكر أنها ربما تكون النهاية، ولكن كل ما حدث لم يكن فقط سوى البداية .

كان الجميع في انتباهٍ شديد للشاشات الثلاث، لدرجة أنهم لم يشعروا بهذين

اللذين تحركا بهدوءٍ داخل القاعة، وأبدلا أماكنهما .
صمت الرجل الذي يقف في الشاشات ليتأكد من استيعابهم لحديثه، ثم أكمل:
*منذ أواخر القرن السابع عشر وكنا قد لاحظنا أن العالم ينحدر إلى الأسوأ، ومع كل تقدم تكنولوجي جديد كانت فكرتنا تتأكد أكثر، ومع حدوث أول حرب عالمية وقفنا وقفتنا الأولى أمام العالم؛ لما شاهدناه من آثار هذه الحرب .
كانت ملامحه جامدةً، لا تعطي أي تعبير وهو يكمل:
*لقد حاولنا بكل ما نستطيع أن نمنع انتشار هذه التكنولوجيا بشكلٍ أكبر، ولكنه كان حلمًا أجمل من أن يتحقق، ولذلك فقد اضطررنا إلى العمل بين الظلال، وحرصنا كل هذه المدة ألَّا يرى العالَم وجهنا، حتَّى حانت اللحظة المناسبة .
ظهرت شبه ابتسامة على وجهه، وهو يقول بعصبية:
*لقد أصبح العالم عبدًا محبًا ومضحيًا لهذا التطور، وأصبح من الصعب عليه أن يتخلَّى عن ذرةٍ واحدةٍ من ذراته، فما بالكم بأن ينتهي هذا الإله الزائف، وفي لمح البصر .
عاد وجه الرجل إلى جموده، وهو يقول:
*لقد تنبَّأ الخبراء منذ وقتٍ طويل بأن هذا التطور سيصل إلى أن تتحكم التكنولوجيا فينا يومًا ما، ومن هذا التفكير -الذي أرعبنا بشدة- بدأنا نعمل جاهدين لعلنا نستطيع أن نوقف ذلك، فقمنا بالانتشار في كل مكان، وأصبح لنا تابع في كل شبر على هذه الأرض، يتحكم بعضهم في الكثير من الأماكن الحساسة، والبعض الآخر يعمل لمجرد تجميع المعلومات .
بدأت صورة الرجل تختفي تدريجيًا، وهو يقول:
*والآن لقد انتهى دوري، وسيبدأ القائد في الحديث .
اختفى الضوء تمامًا من على الشاشات الثلاث، مما جعل القاعة كلها تسقط في ظلامٍ دامس، استمر الظلام بضع لحظات، انتشرت فيها الرهبة في الأجساد، وامتدت تلك الرجفة في القلوب حتَّى شملت الجسد كله .
وكما العروض المسرحية – تمامًا، أضيئ في منتصف القاعة، وفوق أحد الرؤساء

الاثني عشر، مصباحًا ضخمًا .
وكان هو يجلس بمنتهى الهدوء، وكأنه في موقفٍ مختلفٍ تمامًا عن الباقين في القاعة .
كان رداؤه قد اختلف تمامًا عن بداية المؤتمر، فقد تحوَّل إلى زيٍّ أسود اللون، وفوق رأسه قبعة سوداء طويلة تغطي وجهه .
ساد السكون لدقيقة كاملة، والجميع يتأمل ذلك الشخص الذي من المفترض أن يكون رئيسًا لإحدى الدول الاثنتي عشرة .
وبهدوءِ شخصٍ يجلس على سريرٍ ناعم فوق شاطئ بحرٍ في يومٍ صافٍ، بدأ القائد كلمته قائلًا:
*لا داعِ للخوف، لقد استمعتم جميعًا إلى سبب وجودنا، والآن دعوني أخبركم بما يلي .
اعتدل القائد في جلسته، وأكمل قائلًا:
*لقد بدأت الخطة التي رسمناها منذ زمنٍ طويل تأخذ مجراها بالفعل، فقد بدأنا بالتخلص من الشبكة الإلكترونية، ثم تخلصنا من كل أشكال الطاقة النووية بالعالم، والآن -وبينما نحن نتحدث الآن- سيقوم الباقون بإكمال المخطط، حتَّى يكتمل تمامًا .
ثم ابتسم، قائلًا:
*أولًا: سيتم ضرب كل محطات وأماكن تخزين الوقود بالعالم . ثانيًا: سيتم تدمير جميع الأقمار الصناعية حول الكوكب . ثالثًا: سيتم تسليم جميع السلطات العالمية إليَّ أنا من الآن، وسأكون أنا القائد الأول والأخير .
كان البعض في هذه اللحظة قد بدأ يستوعب ما يحدث .
ولكن قبل أن يتحدث أحدهم، أكمل القائد:
*إن كل ما قلته الآن هو أهم الأخبار التي أردتكم أن تعلموها، ولكن باقي القوانين ستكون منتشرة بوضوح وفي كل مكان .
وبغتَّة وقف رئيس الولايات المتحدة، وقال بغضب:
*ما الذي يعنيه كل ذلك يا فخامة الرئيس؟ هل أُصِبت بمرضٍ ما أو ما شابه؟ ما

هذه الهلاوس التي تخبرنا إياها؟
ابتسم القائد، قائلًا:
*أولًا: أنا أُدعى بالقائد، وليس فخامة الرئيس . وثانيًا: إنني لا أضمر الشر لأي أحد أبدًا، وإنما أحاول أن أنقذ العالم من مصيرٍ مجهول، ثم إن أحدًا لم يتم إيذائه منذ أن بدأنا تنفيذ خطتنا .
ابتسم الرئيس الأمريكي بعصبية، وقال:
*وماذا سيحدث إن رفض أحدهم ما تدَّعِيه الخير؟ هل قمت وحدك بتقرير مصير العالم أجمع؟
ضحك القائد، قائلًا:
*ألم تكن تستمع جيدًا يا هذا؟ إنني لم أقم وحدي بهذا، إننا مجموعة ضخمة جدًا من أبناء هذا العالم، ومن جميع الجنسيات، والأهم من ذلك أنه قد سبق السيف العزل، فكما قد قلتُ مسبقًا، فإن أتباعي قد . . .
وبغتَّة صرخ الإمبراطور الصيني -لأول مرَّة منذ بداية الحوار- في حرَّاسه أن يقبضوا على القائد .
ولكن -لدهشته ودهشة الجميع- لم يتحرَّك أحد الحراس من مكانه قيد أُنملة .
فضحك القائد مرَّة أخرى، وقال:
*ألم أقل لكم؟ إن أحدًا لن يستطيع أن يصيبني بخدشٍ واحد، وذلك لأنه -بكل البساطة- هؤلاء الحراس جميعًا هم -منذ اللحظة- حرَّاسي أنا .
وبصوتٍ مرتفع، قال الرئيس الألماني:
*وماذا إن رفض أحدنا؟
نظر إليه القائد ببرود، قائلًا:
*أخشى أن الاختيار ليس بيدِ أحد من الآن، سيستمع الجميع إلى ما أقول شائوا أم أبوا .
بعد جملته عادت الشاشات الثلاث إلى العمل مرَّة أخرى، وظهر على الأولى مجموعة من الصواريخ عابرة القارات تتجه نحو أهداف مختلفة، وعلى الثانية

بعض الآلات غريبة الشكل تتجمع في نقطة واحدة، وعلى الثالثة وقف أكثر من ألفي جندي -يرتدون جميعًا نفس الرداء- في صفوفٍ متوازية .
وأكمل القائد:
*على الشاشة الأولى تشاهدون الصواريخ التي ستضرب كل أماكن تخزين البترول في العالم، وعلى الثانية تشاهدون الآلات (ليد) والمسؤولة عن تدمير الأقمار الصناعية جميعها بأشعة ليزر مكثَّفة، وعلى الشاشة الثالثة تشاهدون مليوني جندي مدربين تدريبًا مكثفًا وجميعهم أتباع لي، وهذه كلها هي الأدلة على أنني قد سيطرت على الموقف تمامًا، وبلا منازع .
كان كلام القائد خطيرًا جدًا .
وبدأ الجميع يفكر في قرارٍ نهائي لهذا الموقف .
حين صرخ الرئيس الألماني في غضب:
*أنا أفضل الموت على لن أرضخ لكلمتك .
ثم أعقب كلمته بأن أخرج من جيبه جهازًا صغير الحجم، يتوسطه زِرٌّ أحمر اللون .
ضغط عليه بقوة قائلًا:
*إن هذا كان آخر سلاح مدمِّر على الأرض، وعمله -بكل بساطة- تدمير الكوكب بالكامل، عن طريق جهاز ضخم مُخبأ تحت سطح الأرض، سيقوم ببعث حرارة رهيبة تتسبب في ذوبان الجبال الجليدية حول العالم، مما سيغرق الكوكب بأكمله، ولن يتبقَّى من يخضع لك ولأوامرك .
ثم ابتسم بطريقة شيطانية، وقال:
*استمتع بآخر لحظاتك أيها القائد المزعوم، فبقوة هذا الجهاز سيكون أمام الأرض يومٌ واحدٌ، وبعدها . . . . . .
فرقع الرئيس الألماني وسطاه وإبهامه، كعلامة للدمار والخراب .

*  *  *

# الفصل الخامس: القوانين

"ولكن هذا خطأ" .
نطقها أحد الشُبَّان الجالسين حول الأستاذ دافيد، ناظرًا إليه باستنكار .
فنظر إليه العجوز بتساؤل، فأكمل الشاب:
*لقد قرأت الكثير من كتب التاريخ، ومن ضمنها هذه الأشياء التي ذكرتَها منذ قليل، كالطاقة النووية والبترول والأقمار الصناعية، ومن قراءتي علمت أنها من الصعب جدًا التخلص منها، فكيف تقول أن القائد قد تخلص منها هكذا بكل سهولة؟
ابتسم دافيد، وكأنه كان ينتظر من أحدهم هذا السؤال، فنظر إليهم جميعًا وقال:
*كما أخبرتكم، فقد كان القائد يخطط لهذا منذ زمنٍ بعيد جدًا، ولهذا -وعندما جائت نقطة الصفر- لم يكن من الصعب عليه أن ينفذ خطته بسهولة، خصوصًا وأن أحدًا لم يكن يتخيل ما سيحدث حينها .
وقف قليلًا كي يلتقط أنفاسه، ثم أكمل:
*بالنسبة للطاقة النووية، فقد اخترع علماء القائد أجهزة خاصة تقوم بتفكيك أيونات الذرة إلى بروتونات وإلكترونات ونواة، ثم قاموا باحتواء هذا كله داخل جهاز خاص آخر، كل هذا قد حدث في لمح البصر، ثم قاموا بتفجير القنابل؛ حتَّى يُعلموا العاملين هناك بما حدث، بعدها قاموا بتحويل هذه المحتويات على هيئة قذائف ليزرية بتغيير التركيب الكيميائي لهذه الذرات، مما أعطى لهم فرصة تدمير الأقمار الصناعية بهذه القذائف .
*ولكنهم قد جاؤوا بغاية التخلص من التكنولوجيا، فكيف استخدموا نوعًا آخر منها؟
*إنك لن تستطيع التخلص من التكنولوجيا إلا باستخدام نوع آخر منها، وإلا

لن يكون القتال متكافئ، المهم أنهم تخلصوا من البترول –وهو آخر أهم الآثار التكنولوجية- بأن قاموا بإطلاق صواريخ عابرة القارات، قامت بحرق كل كمية البترول الموجودة من دون أن تُخلِّف أي انفجارات مؤذية .
ثم نظر إليهم مرَّة أخرى، وقال:
*والآن ما رأيكم بالعودة إلى الفريق العلمي؟ ياه، لقد اشتقت إليهم كثيرًا .

* * *

جلس هاشم بمواجهة باقي الفريق، داخل أحد غرفة رئيس المخابرات المصرية، وتحدَّث قائلًا:
*بما أنني أؤمن أن التفكير هو السبيل الأول لتحقيق المُبتغى، فسأطلب منكم جميعًا أولًا أن تخبروني بما قد جمَّعتموه داخل أراضي الولايات المتحدة .
بدأت سلمى الحديث، قائلةً:
*لقد وجَّهتُ أسئلتي إلى رجال الأعمال هناك، ولقد كانت ردودهم متوقَّعة، فجميعهم في صدمة تامة لما حدث، حتَّى أن معظم الشركات هناك سوف تعلن إفلاسها عمَّا قريب، ومن الواضح تمامًا أنهم متضررين أكثر من أن يكونوا هم سبب هذا كله، أو أن يكونوا قد اخترعوا هذا الأمر لتضليلنا .
صمت الجميع قليلًا لاستيعاب حديثها، ثم قال هاشم:
*إن هذا ينطبق تمامًا على ما جنيته من معلومات في واشنطن، فالخسائر فادحة بالفعل، وعلى حد علمي حتَّى الآن إن هذا ليس تمثيلًا أبدًا .
قال دافيد:
*إذًا فأحاديثكم هذه تؤكد أن هذا لم يكن إلَّا مجرَّد خلل؟
صمت الجميع مرَّة أخرى في تفكير، حتَّى تنهَّد فاروق -الذي كان يجلس بعيدًا عنهم مفكرًا طوال الوقت- وقال:
*لا يا أصدقائي، إن الأمر ليس مجرد خلل تكنولوجي، بل هو أكثر من هذا بكثير جدًا .
نظر إليه الجميع باندهاش، في حين قال هاشم:
*هذا صحيح يا فاروق، إنك لم تخبرنا حتَّى الآن بما حدث لك هناك، ألم تقل أنك

قد عرفت كل شيء؟
نظر فاروق إلى ساعته مَلِيًّا، ثم رفع خمسة أصابعه، وكأنه يشير إلى عدٍ تنازلي
.
ثم بدأت الأصابع تنزل بالترتيب .
أربعة .
ثلاثة .
اثنان .
واحد .
وفجأة أُضيئت الشاشة العملاقة في حجرة رئيس المخابرات، وظهر عليها نفس مقطع الفيديو الذي كان يُعرض في الشاشات الثلاث أثناء المؤتمر، وظهر نفس الرجل الأربعيني معيدًا نفس كلامه الذي قيل داخل المؤتمر، بنفس لقطات الصواريخ والآلات عجيبة الشكل والجنود، وعندها،
عندها فقط فهم الجميع ما يحدث .
عندها فقط أطلقت أجسادهم تلك الانتفاضة التي توحي بمزيجٍ من الخوف
.
والرعب .
بعد أن انتهى الخطاب، عادت الشاشة إلى لونها الأسود القاتم مرَّة أخرى، ولكن وجوه العلماء لم تتغير عن ذلك اللون الأصفر الفاتح، ذلك اللون الذي يصاحب الموتى .
جميعهم إلَّا اثنين فقط .
اثنان فقط حافظا على هدوئهما داخل الغرفة، وكأن الأمر لا يعنيهما هما الاثنين .
كان هذان الاثنان هما فاروق وسامح، مما جذب انتباه دافيد كثيرًا، فطبقًا لعمله هو يعلم أن الخوف والرهبة هما العاملان الأساسيان لموقف كهذا، ولكنه يراهما يقفان بكل هدوء .
لم يكن دافيد يعلم ماذا عليه أن يفعل، فاتجه إلى هاشم بهدوء، وهمس في

أذنه بشيءٍ ما، اتجه بعدها هاشم نحو فاروق وسامح، وقال:
*ماذا هناك يا رفاق؟ لماذا لا يبدو عليكم التأثُّر مما يحدث؟
تنحنح فاروق قليلًا، ثم قال:
*هذا لأنني قد علمت بكل شيء قبل أن أجدكم يا رفاق، ففي الفترة التي اختفيت فيها، كنت قد تم اختطافي إلى أحد المقرات السرية لهذه المنظمة، ولقد علمت كل ما شاهدتموه حينها، ولهذا لن يبدو عليَّ الاندهاش الآن .
نظر هاشم إلى سامح، وقال:
*وماذا عنك يا سامح؟
صمت سامح قليلًا، واحترم رفاقه هذا الصمت، قبل أن يقول بهدوء:
*ذلك لأنني متَّفِقٌ مع ما قاله ذلك الشخص، بل أنني موافقٌ تمامًا أن أعيش على هذا المبدأ .
كان كلامه هذا بمثابة صدمة للجميع من حوله، وذلك لم يكن غريبًا أبدًا، فسامح هو عالِمٌ مثابر مجتهد في عمله، يعرفه جميع زملائه -دائمًا- بالذكاء والحِنكَة، فكيف يجتمع هذا وأن يوافق على التخلِّي عن كل مظاهر التكنولوجيا، وأن يعيش حياته في عالمٍ بدائي؟
حدَّق الجميع بسامح لمدة خمس دقائق كاملة، ثم كانت سلمى هي أول من تحدَّثت، حين قالت:
*بماذا تفكِّر يا سامح؟ هل فقدت عقلك فجأة؟ لقد عشنا حياتنا كلها نستخدم التكنولوجيا، وأنت تعلم أنها قد أفادتنا في الكثير من الأشياء، والأهم من هذا كله، كيف تكره التكنولوجيا وأنت تستخدمها بنسبة ٩٩ في المائة من حياتك اليومية؟
*إنكِ لن تدخلي سباقًا للأرانب، وتراهني على سلحفاة .
*ها قد نطقتَها بنفسك، إن التكنولوجيا قد جعلتنا ننطلق بسرعة الأرانب، في عالم كان يسير بسرعة السلاحف .
*ولكن، تذكري يا صديقتي العزيزة أن الأرانب تأكل بمقدار عشرة أضعاف أكل السلحفاة في اليوم الواحد . وهذا هو ما أعنيه بكلامي عن التكنولوجيا دائمًا، أيًّا

كانت المميزات التي تمنحنا إياها، فإنها بالتأكيد تستعيد منا أضعافًا مضاعفة مقابل هذه المنح .
ثم نظر سامح إليهم جميعًا وقال:
*أليس هذا صحيحًا؟ ألم نَعِش حياتنا كلها نستخدم هذه التكنولوجيا؟ ولكن انظروا جميعًا إلى ما حدث بسببها، كلما تطورت هذه التكنولوجيا كلما أصبحت حروبنا أخطر على الجنس البشري والطبيعة، انظروا كيف أننا دمَّرناها عن آخرها ثقبُ أوزونٍ هنا، واحتباس حراري هناك، زيادة نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون بنسبة ٤٪ عن الطبيعي، تدهور الأراضي والغابات، سرطنة الطعام والشراب .
التقط أنفاسه ثم أكمل:
*والبشر أنفسهم، هل هم حقًا سعداء؟ أخبريني ماذا يفعل أغنى الأغنياء عندما يحصل -أخيرًا- على فترة راحة من عمله؟ بالطبع سيأخذ على الفور إجازة من عمله ليذهب إلى إحدى القُرى السياحية ويستجم هو وعائلته . إذًا نحن نرى راحتنا في التخلص من التكنولوجيا، إذًا نحن نعمل جاهدين طوال الشهر لنحصل على يومٍ إجازة يخلصنا من مشاكلنا التي اخترعناها بأنفسنا .
صمت سامح قليلًا، وأحنَى رأسه ناظرًا إلى الأرض، وقال:
*أنا أعلم طبيعة عملي جيدًا، وأنني من أكثر الناس الذين من المفترض أن يُصابوا بالاكتئاب لمجرَّد سماع هذه الأخبار، ولكن لا، أنا أعتبر هذا خلاصًا من جميع الآلام التي أشعر بها طوال حياتي .
ساد الصمت تمامًا على الحجرة بعد أن أنهى سامح كلامه،
والجميع يفكر في هذا الكلام، ويحاولون استشارة عقولهم إن كانت ستستوعب هذا الكلام أم لا .
ولكن مصباحًا صغيرًا أحمر اللون، مُثبَّت على مكتب رئيس المخابرات، قد بدا يضئ وينطفئ بتردد متوازي، وانتشر في المكان صوت الإنذار البائس .
نظر الجميع إلى رئيس المخابرات، فقال -لأول مرَّة منذ بداية الحوار:
*هناك مشكلةٌ كبيرة بالخارج .

---

ثم أعقب كلمته بأن التقط سماعة هاتفه .
ولكنه تذكَّر أنَّه لم تعُد توجد إشارة لا سلكية، بسبب تدمير الأقمار الصناعية، فوضع السماعة مرَّة أخرى بحنق، ثم نظر إلى أفراد الفريق، قائلًا:
*لا فائدة، لم تعد توجد إشارة لا سلكية، سنضطر للخروج من هنا واكتشاف ما يحدث بأنفسنا .
بدأ الجميع يتحرَّك بسرعة خارج الغرفة، ومنها إلى الممر الطويل المؤدي إلى مخرج المبنى .
في أثناء الطريق، قابلوا جميعًا عامل المبنى وهو يخرج من حجرةٍ ما، فسأله رئيس المخابرات:
*ما الذي يحدث في الخارج يا مجدي؟
أجابه مجدي بتلعثم:
*لقد أُعلنت حالة الطوارئ القُصوى في العالم أجمع، والآن ينتشر الكثير من الرجال حول العالم، يرتدون زيًّا موحدًا وبدأوا في تجميع الناس، وإرشادهم إلى المخابئ النووية .
نظر الرئيس إلى أفراد الفريق، وقال:
*إذا كان الأمر بهذه الخطورة، فأعتقد أنه علينا أيضًا الاتجاه إلى أقرب مخبأ نووي الآن .
بدأ الرئيس يتحرك، معه أفراد الفريق يصحبهم مجدي، متجهين جميعًا إلى أقرب مخبأ نووي .

* * *

إذا كان العلم قد أثبت عدم إمكانية تحوُّل الإنسان إلى مادة صلبة لا تتحرك، فإن القائد قد كسر هذه القاعدة بجدارة،
فبعد أن أعلن الرئيس الألماني عن بدء عمل جهازه، الذي ينوي به إغراق الكوكب بأكمله وتدمير البشرية، انتفض الجميع من أماكنهم بفزعٍ شديد، وصرخ الرئيس الأمريكي:
*ماذا فعلت أيها الأخرق؟ إنك بهذا ستقتلنا جميعًا .

ضحك الألماني ضحكة شيطانية، وقال:
*وأكون قد طبقت المثل القائل: "عليَّ وعلى أعدائي" .
وصمت الجميع، كان من الواضح أن الرئيس قد دخل للتو في حالة هيستيرية .
ولكنه قد دخل هذه الحالة بعد أن أصدر إعدامًا على الجنس البشري .
نظر الجميع للقائد، وقد انتشر شعورٌ آخر لديهم بجانب الخوف، الفضول .
وكان القائد يجلس كما هو كتمثالٍ من الشمع، لم يُحرِّك ساكنًا وهو يُحدِّق في الفراغ اللا متناهي أمامه .
وفجأة ضحك القائد بشدة، وكأنه قد سمع للتو مُزحةً عبقرية .
ثم صمت مرَّة أخرى، ولكن هذه المرَّة كان ينظر إليهم، وقال بصوتٍ هادئ:
*إنه حقًا من السهل التنبؤ بتصرفات البشر، يبدو أن صديقنا الألماني قد وفَّر عليَّ الكثير من الكلام، لقد كنت أنوي أن استمر طوال اليوم أحاوركم في مساوئ التكنولوجيا، وكيف أنها ستدمرنا يومًا ما، ولكن يبدو أنه من حظكم -والعالم- أن ستشهدوا أكبر دليلٍ ملموس على كلامي .
نظر إليه الرئيس الأمريكي، وقال:
*حسنًا أيها الرجل، لقد أصبتَ في حُكمِك على التكنولوجيا، ولكن ماذا الآن؟ هل تدخَّلت في شئوننا فجأة وتسببت في هذه الكارثة، ثم ستجلس لتضحك باقي الوقت، قبل أن تلقى معنا مصرعك؟
نظر إليه القائد ببرود، ثم قال:
*أولًا: أنا لم أتسبب في هذه الكارثة، بل إنها حماقتكم وجهلكم جميعًا . وثانيًا: لقد كنت أعلم ما سيفعله الألماني اليوم، ولكنني تركته -كما قلت مسبقًا- يعطيكم مثالًا واضحًا لما أخبرتكم به، وعلى هذا الكلام فإن وقتنا هذا هو الوقت الفصل أيها السادة، هو الوقت الذي سيحكم فيه التاريخ بيننا جميعًا .
ثم نظر القائد إلى الحاضرين جميعًا، وقال بصوتٍ مرتفع ليسمعه الجميع:
*لأننا كنا نعلم ما سيحدث اليوم، فقد قمنا بتجهيز كل احتياطاتنا لتلك اللحظة، والآن هناك العديد جدًا من المآوي المُجهَّزة بحيث تستقبل كل من يريد النجاة

بحياته، ولكن هناك قوانين قبل أن تخطو داخل أحدها .
ثم رفع أصابعه الخمسة لأعلى، وقال:
*أولًا: من يدخل إلى المأوى سوف ينسى كل حياته الماضية، ولن يذكرها أبدًا طوال فترة مكوثه هناك . ثانيًا: لن يكون هناك تقسيم في الحكم، وسأكون أنا القائد والرئيس والإمبراطور . ثالثًا: لن يُسمح بدخول شيء مادي واحد من هذا العالم، حتَّى الملابس سيتم تغييرها بملابس أخرى ستُعطى لكم . رابعًا: سيتم تقسيم المؤن يوميًا بعدلٍ تام، دون التفريق بين رجلٍ أو امرأة أو طفل . وأخيرًا: من سيخالف أيًّا من التعليمات الأربعة، سيتم منعه من حصصه اليومية؛ حتَّى يلقى حتفه .
بدأ الجميع ينظر إلى بعضهم البعض في تردد، في حين أخرج القائد خريطة ضخمة رُسِمَ عليها الكثير من النقط الحمراء وفردها قائلًا:
*من سيقرر الالتزام بالقوانين؛ فليأتِ إلى أحد تلك الأماكن المُرمَّزة، وسيتم الترحيب به كامل الترحيب، أتمنى ألَّا تروني على هيئة العدو، فصدقوني أنا لم آتي إلَّا لإنقاذكم من مصيرٍ لم يكن ليعجبكم أبدًا .
قام واقفًا، وتحرَّك بضع خطواتٍ نحو بوابة الخروج، وتبعه جميع الحراس، حين توقَّف ليكمل:
*مصيرٌ مثل الذي ينتظر من سيفضل الجلوس هنا دون المجيء إلى المأوى .
أنهى جملته ليكمل مسيره نحو المخرج، ليختفي تمامًا في الظلام، ويترك الباقين في حيرة مُطلقة .
وقاتلة .

* * *

وقف أعضاء الفريق مع رئيس المخابرات والعامل مجدي أمام أحد المخابئ النووية التي كان يتحدث عنها القائد، وجدوا أمامها رجلًا يرتدي نفس الزي الموحَّد الذي يرتديه كل أتباع القائد .
وقبل أن يسمح الرجل لهم بالدخول، أعطاهم ورقة مكتوب عليها خمسة ملاحظات باللغة الإنجليزية .

---

التقط هاشم الورقة من الرجل وبدأ يقرأ ما عليها بصوت مسموع، كانت الورقة تحوي القوانين التي تحدث عنها القائد مؤخرًا .
تسمَّر الجميع في أماكنهم لبعض الوقت، وهم يحاولون التفكير في هذه القوانين .
حين تحدَّث الرجل بصوتٍ صارم قائلًا:
*سوف يغلق هذا المدخل بعد أن يكتمل العدد، أي بعد عشرة أشخاص من الآن .
نظر الجميع إلى بعضهم البعض في حيرة، حتَّى تحدثت سلمى قائلة:
*شئنا أم أبينا، فلا خيار أمامنا الآن إلا الدخول، وإلا سنكون جزءً من آثار الكارثة، هذا إذا تبقى آثارٌ تذكر .
وبترددٍ تام، بدأ الجميع يتحرك داخل المخبأ، بعد أن سلَّموا كل ممتلكاتهم للرجل واستلموا ملابسهم الجديدة .
كلٌ منهم كان يشعر أنها المرة الأخيرة التي يرى فيها السماء .
كلٌ منهم أصيب بقشعريرة في جسده تكفي لزلزلة جبل كامل .
وكلهم أدرك أنها ربما تكون تذكرة ذهاب فقط .
ذهاب بلا عودة .

*  *  *

## الجزء الثاني: عالم جديد
## الفصل السادس: المأوى

كان المكان على عكس ما توقعه أحد واسعًا جدًا .
تاركًا إحساسًا بأنه يمتد إلى ما لا نهاية .
ومن العجيب أيضًا أنه كانت تنتشر هناك إضاءة تنيره إنارة قوية، بالرغم من أنه من المفترض أن يكون تحت الأرض .
لم يكن أحد يعلم مصدر تلك الإضاءة، ولم يملك أحد الشجاعة الكافية ليسأل .
المكان يعجُّ بالعديد من أشكال الحياة، بشر، حيوانات، نباتات .
ملامح الجميع جامدة، تملؤها حيرة قاتلة .
معظم الموجودين لا يزالون يجهلون سبب مجيئهم إلى هنا بعد .
لقد سمعوا عن أن هناك كارثة ضخمة على وشك تدمير البشرية، وأن الأمل الوحيد للنجاة هو النزول إلى هذه الملاجئ .
الجو معتدلٌ يميل إلى الهدوء، بالرغم من هذا العدد الضخم من البشر .
ووسط الزحام تحرَّك طفلان يبدو من مظهرهما أنهما في الثانية عشرة من عمرهما .
ابتعد الطفلان عن الزحام، ثم قال أحدهما للآخر بحماس:
*ما رأيكِ أن نكتشف المكان يا سارة؟
نظرت إليه سارة قليلًا، ثم قالت بهدوء:
*ما الغاية من ذلك يا محمود؟ إننا لم نمكث هنا غير نصف اليوم، ولا زلنا لا نعرف ماذا يمكن أن نجد .
ابتسم محمود بحماس زائد، وقال:
*إن هذا هو السبب الذي يجعلنا نخوض المغامرة، وهو البحث عن المجهول، ألن يكون هذا ممتعًا؟

---

وقبل أن تجيب سارة، سمع الجميع صوت بوق ضخم ينتشر في المكان، وشاهد الجميع شابًا يصعد مِنصَّة كبيرة، وكأنه يجهِّز نفسه لإلقاء خُطبة .
انتشر في المكان نفس الرجال الذين يرتدون الزي الرسمي، والذين قد قادوهم إلى هنا في الأساس .
كان الرجال يحاولون تجميع الناس كلهم أمام المنصة، وحين تأكدوا أنه لم يتبق أحد خارج الجمع، بدأ الرجل بالكلام قائلًا:
*من المؤكد أنكم جميعًا تريدون معرفة التفاصيل كاملة عن الكارثة، ولكم الحقُّ في ذلك .
بعد جملته هذه بدأ يخبرهم بكل التفاصيل التي أخبرها القائد للرؤساء في قاعة المؤتمرات .
وقد بدأت الوجوه تتشكَّل بمختلف الأشكال .
بعضهم ساخطٌ على ما حصل، وبعضهم لا يزال غير مستوعب لما حدث .
وبعضهم قد أحسَّ أن حياةً جديدة قد فتحت أبوابها له .
بعد أن انتهى الرجل من سرد ما حدث، بدأ يخبرهم بالقوانين التي ستحكم إقامتهم في هذه الملاجئ، وعندما انتهى منها، قال أخيرًا:
*إن فترة إقامتنا في هذه الملاجئ قد قُدِّرت بعشر سنوات، وذلك حتَّى يجفَّ السطح من الماء ويعود إلى ما كان عليه، ويتوقف الجهاز عن العمل تمامًا، ولذلك أرجو منكم جميعًا الالتزام بالقوانين؛ حتَّى تمضي هذه الفترة الطويلة بهدوء، وبلا متاعب، سيكون هناك الكثير من الأماكن لإجابة من لديه أيَّة أسئلة، أو من يريد تقديم أيَّة شكاوى .
بدأ الجميع بالصياح متذمِّرًا، طالبين من الرجل أن يوضِّح أكثر عمَّا هو قادم .
كانوا يريدون معرفة أماكن إقامتهم، المؤن التي سيحصلون عليها يوميًا .
ويبدو أن القائد قد خطَّط لكل هذا، فبعد مرور خمس دقائق انتشر رجال الزيِّ الموحد من جديد، والذين أصبحوا يلقَّبون الآن بالذئاب، ولكنهم هذه المرة قد انقسموا لفِرَق، كل فرقة يرأسها قائدٌ هو المسؤول عن الحديث .
بدأت كل مجموعة من الذئاب تأخذ مجموعة من الموجودين، وتقوم بإجابة

كل أسئلتهم .
ومن بين هذه المجموعات، وقف محمود وسارة وسط عدد كبير من الناس، وبدؤوا يستمعون إلى قائدهم وهو يتحدث، قائلًا:
*ستكون الأرض هي مكان النوم الوحيد للجميع اليوم، ومنذ الغد ستبدؤون في إنشاء مهاجع خاصة تنامون عليها، سيكون هناك متجرًا كلَّ عشرين مترًا، حيث ستحصلون على المؤن التي ستحتاجونها للحياة، وستوزَّع بالعدل للأطفال والنساء والرجال والشيوخ، ولكن ذلك أيضًا سيبدأ منذ الغد، إنكم أحرارٌ للتجوال داخل الملجأ كما تشاؤون، طالما أنكم في حيِّز القوانين .
انتهى الرجل من سرد ما لديه، ثم بدأ يستقبل أسئلة كثيرة لا حصر لها .
نظر محمود إلى سارة، وقال:
*هيَّا بنا، إنني لا أطيق الانتظار لأستكشف باقي الأماكن .
قالها ثم جذب سارة من يَدِها، وبدآ الانطلاق في دربهما .

* * *

وقف هاشم مع باقي الفريق أمام قائد مجموعتهم من الذئاب، يستمع إلى التفاصيل التي يقولها .
بعد أن انتهى القائد من الحديث، اتجه أفراد الفريق إلى هاشم وسأله فاروق:
*ماذا تقترح أن نفعل يا هاشم؟
نظر هاشم إليهم، وقال:
*لقد سمعتم جميعًا ما قاله الرجل، ولذلك فنحن لم نعد فريقًا يا رفاق، بل إنه لم يعد هناك ما نفعله الآن غير العيش بسلام لعشرة سنواتٍ أو أكثر، آملين أن نرى نور الشمس مرَّة أخرى .
*ولكننا نراه بالفعل يا سيدي .
التفت الجميع إلى مصدر الصوت ليجدوا أحد الذئاب واقفًا أمامهم، حين ابتسم مكمِّلًا:
*هل ترون هذا النور الذي يحيط بنا من كل جانب؟ ألم تتساءلوا عن مصدره؟

نظر إليه سامح، وقال:
*لقد تساءلت من أين يأتي منذ أن ظهر، إنه لم يكن موجودًا حين دخلنا إلى هنا، ولكنه قد ظهر بالتدريج، والآن ها هو يختفي مجددًا، أنا أعلم أن هذا يبدو جنونًا، ولكنه يشبه حركة ال . . .
*الشمس .
قالها الذئب ضاحكًا، ثم أكمل:
*أعلم أن ما سأقوله سيبدو عجيبًا، ولكن هذا السطح مصنوعٌ بطريقة مختلفة، حيث أنه يمتص أشعة الشمس بالنهار ليملأ الملاجئ نورًا يساعدنا على العيش، ثم يعكس هذا النور في الليل بحيث يصبح النور داخل الملاجئ ضعيفًا خافتًا ليساعدنا على النوم، إنه يشبه بالضبط ما يفعله القمر .
ظهرت ملامح الإعجاب على وجوه أفراد الفريق، وبدأوا جميعًا بتعريف أنفسهم، حين قال الذئب:
*اسمي هو حازم، أنا أحد الذئاب المسئولين عن النظام داخل الملجأ "ع" .
ظهر التساؤل على وجوه الفريق، حين سألت سلمى:
*ماذا يعني الملجأ "ع"؟ هل هناك غيره؟ وأين هم؟
ابتسم الذئب وقال:
*لقد قام مساعدو القائد منذ عشرين عامًا ببناء هذه الملاجئ استعدادًا لتنفيذ خطتهم، إن عدد الملاجئ يبلغ ثمانية وعشرين ملجأً، ويتم ترتيبهم ترتيبًا أبجديًّا، ولكن ذلك ليس الجزء المشوِّق، إن الأهم أنهم قد جعلوا هذه الملاجئ متَّصلة، حيث أنك تستطيع الذهاب حول العالم من خلال الانتقال من ملجأ لآخر .
بعد أن أنهى جملته، ابتسم ابتسامة مشرقة وقال:
*إنني في فترة استراحة من العمل الآن، ما رأيكم أن آخذكم في جولة حول الملجأ؟
أومأ الجميع برؤوسهم علامة الموافقة، وبدؤوا يتبعوه في طريقه، حين سألت سلمى:
*ولكن، كيف سننام جميعًا على الأرض؟ أليس من المفترض وجود أماكن مخصصة للرجال والنساء؟

أجابها حازم:
*إن الوقت لم يكن يسمح لنا بإقامة أماكن للنوم، وهذا هو ما سنبدأ في إعداده منذ الغد، ولكن بلى، إن هناك أماكن مخصصة للرجال والنساء، صحيح أن وضعية النوم لن تختلف، ولكن على بُعد كيلو مترًا من هنا، وبعد كل خمسة كيلومترات، يتم الآن نصب خيمة ضخمة حتَّى تحتوي النساء جميعهم في هذه المساحة، بدون أن يوجد أي نوع من الاختلاط .
ثم نظر إلى الأعلى، وأكمل:
*إذا لاحظتم أن هذه الملاجئ ليست كالملاجئ النووية، والتي اعتدنا رؤيتها فيما مضى، فهذه الملاجئ ضخمة الحجم، حيث يبلغ ارتفاعها ارتفاع مبنى مكوَّن من ثلاثة طوابق، أي قرابة عشرة أمتار، غير أن المساحة الداخلية لكل ملجأ تبلغ عشرين كيلو مترًا مربَّعًا، يليها نفقٌ يفصل بين كل ملجأ وآخر ويمتد كيلو مترًا كاملًا، إن هذه المساحة إذا كانت فوق سطح الأرض لكانت لا تكفي أن تصل بين محافظات بلدٍ واحد، ولكنها الآن تصل العالم بأكمله وذلك لأنها قريبة بشدة من مركز الأرض .
ثم وضع نُصُبَ عينيه على الأرض، وأكمل قائلًا:
*أما بالنسبة للتحفة الأخرى، لقد صُمِّمت الأرض بطريقة إعجازية، فكما تنفذ أشعة الشمس وانعكاس القمر من السطح إلى هنا، فإن الهواء يتجدد بطريقة مشابهة قليلًا، لقد صمِّمت الأرض بزوايا معيَّنة، بالإضافة إلى وجود فتحات خاصة، وكل هذا لإعادة تجديد الهواء، وإنتاج هواء نقي، بل إنه أيضًا يقوم بصنع تيارات هوائية مشابهة للتيارات التي اعتدنا عليها فوق السطح، ولذلك فإنك ستشعر بالرياح الموسمية حين هبوبها فوق السطح، كذلك الشرقية والغربية، وهلُمَّ جرًّا .
سأل سامح:
*لقد قلت أن الوقت لم يكفِ لإقامة أماكن النوم، فما الذي جعلكم تشرعون في تنفيذ الخطة قبل أن تنهوا الأشياء الناقصة فيها؟
خفض حازم صوته بشدة، وقال:

*ذلك لأن الرئيس الألماني كان قد قرر تجربة سلاحه قبل أن نظهر نحن، ولكن هذه المعلومات لم تصل لأحدٍ آخر على وجه الكون، إلَّا لمساعده وذراعه الأيمن، ولكن هذا المساعد هو في الأساس أحد مجمِّعي المعلومات لدينا، وعندما علمنا أن وقتنا قد أصبح ضيقًا، شرعنا في تنفيذ الخطة على الفور .

ثم ابتسم مرة أخرى، وقال:

*ولكن ذلك لم يعد مهمًا الآن، فلنرمِ هذه الذكريات خلف ظهورنا، ولنبدأ في النظر إلى مستقبلنا .

* * *

سطع الضوء المنعكس من الشمس بقوة، ليضفي البهجة والسرور على المكان، بالرغم من ملامح الخوف والكآبة المرسومة على أوجه أغلب الموجودين .

كان الطفلان يسيران بهدوء وسط الجميع، ناظرين إلى كل ما حولهما بأعين استكشاف، حين ارتطم نظرهما بأحد المتاجر، والتي بدأت تنتشر منذ بداية اليوم الثاني .

كان الطفلان يشعران بالجوع الشديد، فاتجها إلى صاحب المتجر الذي حيَّاهما، ثم طلب من كلٍّ منهما أن يعطيه كفَّه الأيمن، وقام بوضع ختمٍ أحمر اللون على ظهر كل كف .

بعد أن تأكد الرجل من وضوح الختم، أعطى كلًا منهما حقيبة المؤن خاصته، وتركهما يذهبان .

غادر الطفلان وهما ينظران باستغراب نحو الختم الأحمر، حين قابلا أحد الذئاب، فسأله محمود قائلًا:

*من فضلك يا سيدي، هل يمكنك أن تخبرنا ما هذا؟

ابتسم الذئب، وقال:

*إن هذه هي العلامات التي تدل على أنكما قد حصلتما على حصَّتكما اليومية من المؤن، وستختفي هذه العلامة بقدوم الليل .

شكر الطفلان الذئب، ثم اتجها إلى مكان قريب وبدءا يتناولان طعامهما .

كانت المؤن محدودة من المأكل والمشرب، ولذلك فقد قام الطفلان بحفظ

بعضًا منه للمساء، أغلقا حقيبتيهما، ثم أكملا طريقهما .
لم تكد تمضي ساعتين حتَّى وجد الطفلان أمامهما نفقًا ضخمًا، يقف بجواره اثنان من الذئاب، فسأله الطفلان عن كَنهِ هذا النفق، وإلى أين يؤدي، حين أجاب أحد الذئاب، قائلًا:
*إن هذا النفق يؤدي إلى الملجأ "ظ"، ولكنه طويل عليكما؛ فهو يبلغ كيلو مترًا كاملًا .
ابتسم محمود، وقال بشجاعة:
*لا يهم، إنني أريد أن أرى الملاجئ كلها، حتَّى لو تطلب ذلك العشر سنوات .
سألت سارة الرجل:
*ولكن يا سيدي، هل هناك متاجر لتوزيع المؤن داخل النفق؟
*نعم يا صغيرتي، ستجدون متجرًا كل مائة مترًا .
شكر الصبيان الرجل، وبدءا طريقهما داخل النفق .
* * *

# الفصل السابع: حياة جديدة

الأيام تمرُّ بِرَتَابَةٍ شديدة .
الجميع لا يزال يشعر برهبة من العيش هكذا إلى الموت .
أو أسوأ، إلى الأبد .
جلست سلمى بجانب سامح فوق أريكة خشبية، داخل كوخ طوبي صغير، مُنار ببعض الشموع الصغيرة وسط ظلام الليل .
وقد انصرف هاشم وفاروق لأداء بعض الأعمال .
الجو بارد خارج الكوخ، أحد لم يجرؤ على التجوّال، الهدوء يعمُّ المكان .
قالت سلمى بحزن:
*الجميع في حالة يرثى لها، إنهم لا يجدون الكثير من الأشياء لفعلها، أنا متأكدة من أن القادم سيكون أفضل، وأنا كُلِّي ثقة من أننا سنجتاز هذه المرحلة، ونصعد مرَّة أخرى إلى السطح، ولكن أشكُّ في أن الكثيرين سيحتمل الصمود هكذا لعشر سنوات .
نظر إليها سامح بهدوء، وقال:
*إن هذا طبيعيٌ جدًا، إننا أناسٌ اعتدنا العيش في عالم الشاشات، لم نعتد أن ننظر في أوجه بعضنا لأكثر من ثانية واحدة، فما بالكِ بقضاء عشر سنواتٍ كاملة نفعل ذلك .
لمحته سلمى بطرف عينها، وهي تقول:
*ولكنك الوحيد الذي استطاع التأقلم مع هذا التجديد المفاجئ، إن شخصيتك مثيرةٌ للإعجاب حقًا يا سامح .
تخضَّب وجه سامح بحمرة الخجل، وحاول تغيير دفَّة الحديث قائلًا:
*ولكن، أين ذهب هاشم وفاروق؟ لقد تأخرا كثيرًا .
فهمت سلمى ما يفعله سامح، فقالت:

*لقد قالا أنهما ذاهبان لمقابلة بعض الذئاب .
لم تكد تمض ساعة حتَّى دخل هاشم وفاروق إلى الخيمة وعلى وجهيهما آثار الابتهاج .
تقدم سامح بالحديث لهاشم قائلًا:
*أين كنتما كل هذه المدة يا هاشم؟ ولماذا تبدوان سعيدين هكذا؟
أجابه هاشم وهو يصب لنفسه بعض الماء:
*لقد اجتمعنا مع بعض الذئاب مناقشين بعض المخططات المستقبلية داخل الملاجئ وبعد أن نصعد إلى السطح، ولقد كانت إجاباتهم واعدة جدًا .
ابتسم كلٌ من سلمى وسامح لهذه الأخبار؛ فمنذ أن نزلوا إلى هذه الملاجئ وهم ينتظرون أي نوع من الأخبار السعيدة .
حتَّى الآن لم يظهر القائد ولو لمرة واحدة، ولكن مُساعدهُ هو الذي يظهر كثيرًا ليطلع الجميع على أي جديد .
ولكن الجميع كانوا يحتاجون قائدًا .
أرادوا أن تأتي الأخبار على لسان أملهم الأكبر في النجاة .
*يبدو أن القائد سوف يظهر غدًا صباحًا، يُقال أنه سيكون لديه بعض الأمور المهمة التي يريد أن يناقشها .
قالت سلمى باسمة:
*هذا جيد جدًا، أعتقد أن ظهوره سيجدد الأمل في نفس الجميع .
قال فاروق:
*ولكن هذا ليس إلا شعورنا وحدنا يا رفاق .
زوى سامح ما بين حاجبيه، وسأل:
*ماذا تعني بهذا؟ هل هناك أخبارٌ سيئة؟
ضحك فاروق، وقال:
*ليس هذا ما عنيته بكلامي، إنما هناك ما كُنَّا نجهله جميعًا، والذي أخبرَنا إياه الذئاب اليوم .
نظر إليه سامح وسلمى بتساؤل، فأكمل هاشم قائلًا:

*لم يكن القائد مختفيًا طوال هذه الأيام يا رفاق، وإنما كان فقط يزور الملاجئ الأخرى؛ ليطمئن على أن كل شيء يسير على ما يرام، وغدًا سيكون دور ملجئنا، وعلينا جميعًا أن نكون في الساحة الرئيسية في الثامنة صباحًا .
أومأ الجميع برؤوسهم علامة الفهم، ثم اتجه كل منهم إلى مكان نومه، ومضت الليلة بهدوء .
في اليوم التالي، وفي تمام الساعة الثامنة صباحًا، وقف جميع قاطني الملجأ "ع" أمام المنصة، التي من المفترض أن يظهر عليها القائد بعد قليل .
كان الجميع متحمسين بشدة لرؤيته مرة أخرى .
يريدون أن يعلموا ما الأخبار الجديدة التي يحملها .
المنصة تبلغ المترين ارتفاعًا، ومساحتها خمسة أمتار مربعة، في منتصفها عُلِّقت ستارة حمراء اللون وخلفها حائط هو نهاية الملجأ من الشرق .
الستارة تغطي القائد الذي وقف بهدوء خلفها يستمع إلى صوت مساعده الذي واجه الجمهور قائلًا:
*لقد اجتمعتم هنا اليوم لتلتقوا جميعًا بالقائد، إن لدى سيادته بعض الأمور التي يَوَد أن يناقشها معكم، فلتستمعوا له بإمعان حتَّى ينتهي، ثم يمكنكم بعد ذلك توجيه الأسئلة التي تريدون سؤالها له شخصيًا .
صمت المساعد قليلًا ليعطي فرصة للجميع ليستوعبوا كلامه، ثم اختفى وراء الستارة لينحني أمام القائد ويقول بهدوء:
*لقد حان دورك يا سيدي .
أومأ القائد برأسه علامة الإيجاب بهدوء، أزاح الستارة بقوة ليظهر أمام الجميع .
كان رداؤه يماثل نفس أردية جميع الرجال، وهو بنطال من القماش وقميص من القطن، وكان وجهه هادئ لا يعبر عن أي نوع من التعابير .
وبصوتٍ قوي سمعه الجميع بوضوح، قال القائد:
*لقد مضت خمسة أشهر منذ أن نزلنا إلى هنا، وأريد القول أنكم جميعًا قد كنتم متعاونين جدًا في الحفاظ على السلام داخل الملاجئ الثمانية وعشرين،

ولقد جِئتُ اليوم لأتحدث عن بعض المواضيع التي لن تهمنا فقط في الوقت الذي سنمضيه داخل الملاجئ، ولكنها ستستمر أيضًا بعد ذلك حين نخرج من هنا، أولًا: لأننا لا نريد للعلوم والآداب أن تنمحي من عقولنا وعقول أبنائِنا؛ فسيتم تقسيمكم جميعًا إلى قسمين: معلمين ومتعلمين، سيقوم الجميع بتعلم العلوم والفنون والآداب المختلفة حسب اختياره، وعليه أن يقوم بعد ذلك بتعليم ما تعلمه إلى الآخرين، في حين يقوم كلٌ من الآخرين بتعليمه لونًا مختلفًا، وهكذا . ولتحقيق ذلك فقد قمنا بجمع متخصصين من جميع الملاجئ، كما سنفعل هنا اليوم، في جميع المجالات، وسيكون هناك دُور لتعليم الكتابة؛ لأنها ستكون وسيلتنا الوحيدة لنشر هذه العلوم .

صمت القائد قليلًا من الوقت ليلتقط أنفاسه، ويترك مساحة للجميع ليستوعبوا كلامه، ثم أكمل قائلًا:

*ثانيًا: سيكون هناك معسكرات تدريبية لمن يريد أن يصبح فردًا من الذئاب، وغير ذلك ستكون هناك تدريبات يومية إجبارية؛ وذلك لتساعدنا على تنشيط أجسامنا جميعًا قبل الانخراط في العمل . ثالثًا: سوف أمكث أنا داخل كل ملجأ لمدة أسبوع واحد، وسأنتقل بعدها للملجأ الذي يليه، ومن يُرِد مقابلتي فسيجدني في كُوخي الذي يعلم الجميع مكانه .

* * *

*أنا أكره الزحام، لقد أطلنا الوقوف هناك كثيرًا .

ابتسم فاروق وقال:

*ولكنك تعلم أننا قد حصلنا على معلوماتٍ جيدة يا هاشم .

*أنا أعلم هذا، لا أصدق أنني سوف أبدأ التعلُّم من الغد، لقد مضى وقتٌ طويل منذ أن ذهبت لأحدهم لطلب العلم .

*لا تنس أنك ستقوم أيضًا بتعليم بعض الأشخاص ما تعرفه .

*أجل، يبدو أن القادم سيكون مليئًا بالأشغال، ولكن هذا جيد، على الأقل سوف لا نشعر بالوقت الذي نمضيه هنا في الملجأ .

*ألا تعلم أين ذهب سامح وسلمى؟

*لقد قالا أنهما ذاهبان للتجوُّل قليلًا .
قالها هاشم واتجه نحو فراشه، قام بإشعال شمعة صغيرة ووضعها فوق الفراش، ثم أمسك كتابًا من تلك الكتب التي سيقوم بتدريسها لبعض الأشخاص في الغد .
بعد مرور بعض الوقت، عاد سامح وسلمى وعلى وجهيهما آثار الفرح .
كان الوقت حينها قد اقترب من منتصف الليل، حين أشعل سامح شمعة ووقف مع سلمى في منتصف الكوخ، وقال بصوتٍ مسموع:
*لدينا أخبار جيدة يا رفاق .
انتبه كلٌ من فاروق وهاشم، ونظرا بتساؤل .
أكملت سلمى قائلةً:
*لقد قررنا أنا وسامح الزواج .
ابتهج فاروق وهاشم كثيرًا، وقال فاروق:
*هذا خبرٌ رائع يا رفاق، أخيرًا سنشهد شيئًا سعيدًا وسط هذا الكم من الهدوء .
وقال هاشم:
*لا بد أن نعدَّ لكما أفضل حفل زفاف، سيكون الأروع على الإطلاق .

* * *

بعد مرور يومين، شهد الملجأ "ع" أروع حفل زفاف على الإطلاق بالفعل .
وكانت الفرحة تعمُّ الجميع .
الحاضرون كلهم سعداء لوجود مثل هذا الحفل الذي أنساهم همومهم .
وكان سامح وسلمى في أبهى مظهرٍ لهما .
سلمى ترتدي فستانًا ناصع البياض .
سامح الذي يقف بجانبها يرتدي زيًا أسود اللون، متناسق بعناية .
تلك الأزياء كانت قد نُسِجَت خصِّيصًا لحفل زفافهم،
كانت الموسيقى حيَّة من صنع بعض الأفراد، مما أكسب الحفل جمالًا فوق جماله .
*إن صديقتكم سلمى تبدو غاية في الجمال، إنني أحسد سامح عليها .

---

قالها دافيد الذي يقف بجانب فاروق وهاشم والرجل الذي كان رئيسًا للمركز العلمي .
أجابه هاشم، ضاحكًا:
*فلتتزوج إذًا، أم أنك قد أصبحت هرمًا على الزواج؟
قال السيد مازن، رئيس المركز العلمي، مبتسمًا:
*أخبرني أين زوجتك إذًا يا هاشم؟
ضحك هاشم قائلًا:
*أنت تعلم أنني لا أهتم لمثل هذه الأشياء يا سيدي .
ضحك الجميع لقوله، ثم اتجهوا جميعًا نحو العروسين ليهنئوهما على زواجهما، حين لمح هاشم شبحَ شخصٍ مألوف يقف بعيدًا عن الجمع .
انصرف هاشم تاركًا رفاقه، متجهًا إلى ذلك الشخص .
*إن حضورك يشرفنا جميعًا يا سيدي .
كان الواقف هناك هو القائد شخصيًا، فابتسم بهدوء، وقال بوقار:
*إن مثل هذه الاحتفالات تسعدني كثيرًا؛ فأنا أتمنى أن يعيش الجميع حياتهم الجديدة في سلام، لقد جئتُ لأنني حرصتُ على مصلحة الجميع، ولذلك أتمنى أن يعلم الجميع هذا .
*هل لديك بعض الوقت يا سيدي؟ لقد كنت أريد أن أناقشك في شيء ما .
وجَّه القائد وجهه نحو الطريق الخالي، وقال:
*لا بأس، إن لديَّ بعض الوقت .
بدأ الاثنان يسيران بهدوء في الطريق، حين قال هاشم:
*لقد كنت أفكر بشأن تلك العلوم التي سنقوم بنشرها داخل الملاجئ، أليست هي ما ستقودنا مجددًا إلى محاولة الاختراع، أي العودة إلى عصر التكنولوجيا مرة أخرى؟
*إنه شيءٌ أساسي أن يتعلم الجميع العلوم الطبيعية؛ حتَّى نستطيع العيش فوق السطح، ولكن لن يكون تعلُّم تلك العلوم بغاية الاختراع، بل سيكون بغاية الاكتشاف .

*اعذرني يا سيدي، فأنا لم ألتقط قصدك .
*هذا غريب! من المفترض أنك كنت رجل علم، ولكن المهم أن هناك فرق شاسع بين الاختراع والاكتشاف، فبالعلم ستتمكن من حساب دورات الكواكب والنجوم -مثلًا- وبالتالي تستطيع تحديد التاريخ بدقة، تستطيع توقع بعض الكوارث الطبيعية وتستطيع معرفة مواعيد صدور كل غلَّة زراعية، وهذا ما يدعى بالاكتشاف، وهو أن تسخِّر العلوم لتساعدك للعيش في حياة طبيعية .
صمت القائد قليلًا، واحترم هاشم هذا الصمت، حين أكمل القائد:
*ولكن إذا بدأ البشر يستخدمون هذا العلم في الاختراع، فهنا يبدأ الخطر بالظهور، لقد عاش أجدادنا القدماء منذ أن خلق الله –تعالى– سيدنا آدم فتراتٍ لا يمكن مقارنتها بالفترة التي عشناها منذ أن بدأنا نحن في الاختراع . وبالرغم من ذلك فنحن لم نسمع في كتب التاريخ أنهم كانوا يشتكون من حياتهم، بل لقد كانوا يلقِّبون -ونحن أيضًا- فترتهم هذه بالعصر الذهبي .
*ولكن يا سيدي، ألم تكن هناك العصور المظلمة في أوروبا، وكذلك بعض الأمراض القاتلة التي لم يستطع أحد تحديها إلَّا العلم .
*بلى، ولكن لاحظ أنك لم تنطق كلمة التكنولوجيا ولو لمرة واحدة في كلامك، بل لقد قلت العلم، إن بالعلم تحيا الأمم وتتقدم، ولكن بالتكنولوجيا تنتهي حياة كواكب في ثوانٍ معدودة .
للمرة الثانية، صمت القائد .
ولكن هذه المرة امتلأت عينيه بنظرة عزم شديدة، وقال بصوتٍ حازم:
*وأنا أعدك أنت وكل من سيسير على طريقي، بأنني سأبذل كل نفسٍ يتردد في رئتي في سبيل إنقاذ الجميع من أيِّ خطر محدق، وأنني سأكون دائمًا في المقدمة، وسأكون موجودًا دائمًا لتقديم المساعدة .

* * *

# الفصل الثامن: انقلاب

*لقد مضى اليوم سريعًا .
*ألا تتعب أبدًا! إن الجميع منهكين من فرط التمارين التي قمنا بها اليوم .
*ولكنني لم أتعب بعد، أشعر أنني أريد أداء بعض التمارين الإضافية .
نظر الشخص الثاني والذي لم يكن سوى سارة نحو الشخص الأول وهو محمود قليلًا، ثم قالت:
*ولكن أنت وحدك في هذا، فأنا لا أعتقد أنني قادرة على تحريك عظمة أخرى .
ضحك محمود وقال:
*أنتم جميعًا مجموعة من الكسالى، سأذهب بمفردي لأتمرن قليلًا في الخارج .
خرج محمود من الكوخ وبدأ في الركض، لم يكن قد وضع طريقًا محددًا ليسير فيه، ولكنه فقط أطلق لقدميه العنان، حتَّى أصبحتا تجاريان فرسًا في حلبة سباق .
وداخل عقل محمود بدأت ذكرياتٌ عديدة تمتزج مع بعضها .
في البداية لم يكن محمود يستطيع أن يميز هذه الذكريات من بعضها، ولكن صفاء الليل ساعده على تصفية ذهنه،
كان الجو شديد البرودة .
وكان الطريق مضاءً ببعض الأعمدة الزيتية، مما بعث داخل عقل محمود ذِكرى أول يومٍ قضاه داخل الملاجئ .
لقد كان ذلك منذ خمس سنوات، كان في هذا الوقت يبلغ الثانية عشرة من عمره .
قال محمود داخل عقله:
*لقد تغيرت الأحوال كثيرًا، لقد كانت هذه الملاجئ في البداية عبارة عن أطلال لا تصلح لقضاء يومٍ واحد داخلاها، ولكن ها هي الآن تستضيفنا وقد تغيرت

الحياة داخلها كثيرًا، من كان ليصدق أن نتمكن من العيش كل هذه الفترة بدون تكنولوجيا؟ لقد قطعنا شوطًا كبيرًا جدًا .
صمت قليلًا ثم أكمل:
*لقد انضممت أنا وسارة إلى الذئاب لأننا أحببنا حياة المغامرة، إننا لم نمض وقتًا كبيرًا مرتبطين بعصر التكنولوجيا، ولذلك فقد كان من السهل علينا أن ننسى أمرها بسهولة ونلتحم في العصر الجديد .
صمت قليلًا مرةً أخرى ثم تذكر شيئًا، فقال:
*من المفترض أن يكون القائد في هذا الملجأ هذا الأسبوع، لم لا أذهب لألقي التحية؟ بالتأكيد سيسعد لرؤيتي بعد ما حدث بيننا المرة الماضية .
اتخذ محمود طريقًا آخر، وأكمل ركضه داخله .
لم تمض ربع الساعة حتَّى رأى محمود كوخ القائد يقترب .
ولكن شيئًا ما قد أوقف عدوه بقوة؛ وذلك لأنه قد رأى خمسة رجال يقفون أمام الكوخ، ولكنهم لم يكونوا من الذئاب . وقد كان ذلك ممنوعًا؛ فقد كان القانون ينص أن من يرد زيارة القائد فعليه أن يأتي بميعاد حتَّى لا يحدث تكدُّس خارج الكوخ، ويقول القانون أيضًا أن مدة الحديث مع القائد لا يجب أن تتعدَّى الساعة الواحدة، إلا إذا قرر القائد نفسه مدّ هذه المدة .
ولكن كل هذا لم يكن الشيء الذي أقلق محمود .
ما أقلقه حقًا هو أن هؤلاء الخمسة كانوا يمسكون بآلاتٍ حادة، وكانت أزياؤهُم يغطي وجوههم .
باختصار، لقد كان يبدو أن هذا لم يكن ميعادًا طبيعيًا، هناك شيءٌ ما ينذر بالخطر .
جلس محمود خلف صخرة مختفية بين الأعشاب، وبدأ يراقب ما يحدث بهدوء .

* * *

تحرَّك القائد وحيدًا بهدوء في الطريق الذي يصل من المنصَّة المُقامة في الملجأ "ص" إلى كوخه هناك .

الجو يميل إلى المغرب، والطريق قد بدأ يخلو من المارة .
وصل القائد إلى كوخه ليجده خاليًا من الذئاب الذين من المفترض أن يمكثوا هناك لحراسته .
وقف القائد أمام الكوخ قليلًا يفكر في هذا الموقف، وقبل أن يأتي عقله بحلٍ لما يحدث، جذبته أيادٍ أتَت من داخل الكوخ،
وظهر رجلٌ أمامه، وكمَّمَ وجهه بمنديل مخدر .
مضى بعض الوقت فتح القائد بعده عينيه ليجد نفسه مقيدًا إلى أحد الأعمدة الواقفة داخل الكوخ .
وأمامه وقف خمسة رجال يبدو على وجوههم العداوة، أوسطهم يرتدي ثيابًا مختلفة عن الأربعة الباقين، مما أعطى إحساسًا لدى القائد أنه من الممكن أن يكون زعيمهم .
وبالفعل، أشار الأوسط إلى الباقين أن يذهبوا إلى الخارج، ووقف هو أمام القائد وقد عَلَت ابتسامة شيطانية وجهه .
قال الرجل وهو ينظر إلى القائد بسخرية:
*يا لسذاجتك! هل اعتقدت حقًا أن الأمر بهذه السهولة؟
سأله القائد بصوتٍ هادئ:
*من أنتم؟
*إن هذا ليس السؤال الذي تريد سؤاله الآن، وإنما أنت تريد أن تعرف ماذا نريد؟ ولم أتينا إلى هنا؟
صمت القائد حين أكمل الرجل:
*لقد ظهرنا نحن بمجرد إعلانك عن الملاجئ منذ خمس سنوات، بل من المفترض أن أقول أننا قد ظهرنا بأمرٍ من السيِّد الرئيس .
ابتسم القائد بتهكُّم، وقال:
*أيُّ رئيسٍ هذا؟ إن بعد ظهوري وإعلان قيادتي مُحيَت كل هذه الألقاب، لم يعد هناك زعيمٌ أو رئيس، فقط القائد، فقط أنا .
ضحك الرجل ضحكته الشيطانية مرَّة أخرى، وأشار بإبهامه إلى الفراغ قائلًا:

*يبدو أنك لا تدرك الموقف الذي أنت فيه الآن، لقد قمنا بالتخلص من كل الذئاب الموجودين في هذه المنطقة، ورجالي الآن ينتشرون على بعد كيلومتر كامل ليتأكدوا أن أحدًا لن يقترب من هنا، ولكنني لن أقتلك بسرعة، أريد أن أتحدث معك قليلًا .

*ما هي خطتكم بالضبط؟

*لقد مضت خمس سنوات منذ أن نزلنا إلى هنا، ومن المتوقَّع أننا سنعود إلى السطح بعد خمس سنواتٍ أُخَر، وحين يحدث هذا، سنسيطر نحن على السطح بأكمله .

*وما الذي يجعلك متأكدًا هكذا؟ أعلم أنك لن تتركني أعيش بعد أن تخرج من هنا، ولكن الذئاب يملؤون باقي الملاجئ، وصدقني حين أخبرك أنك لن تغلبهم مهما أوتيت من قوة .

ابتسم الرجل ابتسامة ماكرة، وقال:

*هل تريد حقًا أن تعرف كيف سنسيطر على الجميع؟ حسنًا، لن أخبرك أنا بهذا، ولكن هناك شخصٌ يتوق لرؤيتك منذ فترة طويلة، وسأتركه لينهي هو هذا الحديث .

وجَّه الرجل وجهه ناحية المدخل، وقال بصوتٍ مرتفع، وباللغة الألمانية:

*تفضَّل يا سيادة الرئيس .

وبعد كلمته مباشرةً حدث آخر شيءٍ توقَّعه القائد .

وفي هذا الوقت بالتحديد .

فقد كان القادم هو الرئيس الألماني،

الرجل الذي بسببه حدث كل ما حدث .

الرجل الذي بسببه اضطر الجميع إلى قضاء كل هذا الوقت في انعزال داخل ملاجئ تحت الأرض .

وبدون أن يضيِّع الرئيس لحظة واحدة، وجَّه حديثه إلى القائد وقال:

*هل تتذكر من أنا أيها الوغد، أم أنك قد نسيتني؟

اتسعت عينا القائد عن آخرهما، ونظر إلى الرئيس الألماني بمُقتٍ وقال:

*وكيف لي أن أنساك، وقد كنتَ السبب في كل ما وصلنا جميعًا إليه .
ابتسم الرئيس ابتسامة ضاهت ابتسامة الرجل السابق في شرِّها، وقال:
*إنني أدين لك بالفضل، لقد كنت أنوي أن أجرب سلاحي هذا قبل ظهورك، ولكن لم أدري حينها أن تكون العواقب وخيمة هكذا، وبفضلك، احتفظت بحياتي وجربتُ سلاحي، والآن سيبدأ حلمي القديم بالتحقُّق .
*حلمك القديم؟
*نعم، هل تعلم لماذا ابتكرت سلاحي هذا في الأساس؟ لقد كنت أسعى لتوجيه ضربته في أماكن معينة أختارها أنا، وبذلك أستطيع السيطرة على هذه الأماكن، ولكن يبدو أنني لم أحسب قدرته بدقة، والآن لقد قمت أنت بالخطوة الكبرى وأنقذت الجميع، بل لقد تبقَّى خمس سنوات فقد على صعودنا إلى السطح، خمس سنواتٍ أُخَر وأصبح أنا إمبراطور العالم، العالم أجمع .
ابتسم القائد، وقال:
*وهل تعتقد أن قتلي سوف يجعلك القائد؟ هل تعتقد أن الجميع سيرضخون لك فقط لأنك قد قمت بالتخلص منِّى؟ أتعلم لم اهتممت بالتعليم طوال هذه السنوات؟ لقد كنت أعلم أن أمثالك كثيرون، كنت أعلم أن الحياة ليست فرحًا فقط، بل إن الحزن يملؤها بالمثل، ولذلك فقد حرصت أن يفهم الناس حقوقهم، حرصت أن أُعلِمهُم متى يتبعون شخصًا ما، ومتى يتخلصون من هذا الشخص .
ضحك القائد بصوتٍ عالٍ، وأكمل:
*أتعلم؟ أنا لست خائفًا من ما سيحدث لي، ولست خائفًا أيضًا على هؤلاء البشر في الخارج، لقد علموا كل ما يلزمهم ليعيشوا حياةً جيدة، ولكنني أشفق عليك، فأنت لم تتعلم شيئًا طوال هذه السنين، لقد تركت أفكارًا شريرة تسيطر على عقلك، إن أمامك الذئاب، لا تستهزئ بهم، وعندما ينغمس بك الحال في شر أعمالك، ستجد مفاجأة بانتظارك، فلتتقبلها؛ فهذه هي الحياة .
صمت الرئيس قليلًا، ثم قال:
*هل تعلم أنك تتحدث كثيرًا؟
قالها وأشار إلى الرجل الذي يقف خلفه .

وفي اللحظة التالية أخرج الرجل خنجرًا ذهبيًا، واتجه به إلى القائد المربوط في العمود .
كانت اللحظة التالية من اللحظات النادرة التي سجَّلها التاريخ في السجل الذي لا ينمحي .
لقد نظر القائد إلى السلاح الذي يحمله الرجل، وقد أدرك أنها نهايته على الفور .
رفع القائد رأسه إلى أعلى بهدوء وقوة، وحينها طعنه الرجل في قلبه مباشرةً .
وخرجت روح القائد إلى خالقها .
وبعد أن تأكد الرئيس ومساعده من أن القائد قد انتهى، خرجا من الكوخ بهدوء .
أشار المساعد إلى الرجال الأربعة القابعين في الخارج، وبدأوا جميعًا في الابتعاد حتَّى اختفوا وسط الظلام .
بمجرد أن اختفى الرجال جميعهم، نظر محمود حوله؛ ليتأكد من أنه لا أحد يراقبه، ثم تقدم بخفَّة داخل كوخ القائد ليصدمه منظر جثة القائد .
كان الخنجر الذهبي لا يزال موجودًا في صدر القائد، فأزال محمود الخنجر بهدوء وقد هربت من عينيه دموعٌ من دم .
وفي قرارة نفسه صرخ .
صرخ بأنه سينتقم .
لن يسامح هؤلاء الذين قتلوا قائده .
أبدًا .

*  *  *

*قُتِل! ماذا تعني بهذا الكلام يا محمود؟
قالتها سارة داخل الكوخ الذي يضم جميع الذئاب شرق الملجأ "ص" .
بدأ محمود يحكي كل ما حدث منذ أن اقترب من كوخ القائد، وحتَّى وجده ملقًا على الأرض وقد فارق الحياة، حتَّى أنه أراهم الخنجر الذهبي حتَّى يصدقوا كلامه .

نظر الجميع إلى بعضهم البعض، وقد بدأت نظرات الهلع تنتشر بينهم .
وبدأ بعضهم يردد كلمات اليأس، حين صرخ محمود بصوتٍ عالٍ:
*هدوء .
نظر إليه الجميع بذهول، فقال بصوتٍ حازم:
*أنا لا أعلم ما الذي حدث داخل الكوخ، ولا أعلم أيضًا من هم هؤلاء الذين هاجموا القائد، ولكنني لا زلت أتذكر كلمات القائد تتردد في أُذناي، لقد أخبرني أنه "حين تحاصرك الهموم، فلتلقها خلف ظهرك، ولتفكِّر فيما هو آتٍ" .
سأله أحدهم:
*وماذا تعتقد أن نفعل يا محمود؟
*إن أول ما علينا فعله هو إبلاغ جميع الذئاب، سنجمع كل ذئبٍ هنا في الملجأ "ص"، وسننقسم بحيث نتمكن من إخبار ذئاب جميع الملاجئ في أسرع وقتٍ ممكن .
صمت قليلًا، ثم قال:
*إن عددنا عشرون ذئبًا، والآن أريد عشرة صفوف يتكون كل واحد منهم من ذئبين .
مضت دقيقتان كان بعدها الجميع يقفون بالترتيب الذي يريده محمود .
وبدأ محمود يخبر كل مجموعة بالمكان الذي ستذهب إليه .
انطلق الجميع في طريقهم إلى كل أماكن مكوث باقي الذئاب في الملجأ لتجميعهم، وذلك بعد أن أخبرهم محمود أن يتوخوا الحذر؛ وذلك لأنه من الممكن وجود أحد هؤلاء الرجال في الطريق .
تحرك محمود مع سارة بخفة نحو كوخ القائد، وقد كانا ينويان أن يأخذا جثته ليدفناها بعيدًا .
ولكنهم ما أن دخلوا إلى الكوخ حتَّى وجدوه خاليًا تمامًا، وكأنه لم يكن هناك أحد هنا في الأصل .
وبصوتٍ يرتجف، سألت سارة:
*ولكن أين جثته؟

*لا أعلم، لقد كان مقيدًا هنا إلى ذلك العمود، ولكنه قد اختفى .
عاد محمود وسارة مرَّة أخرى إلى مكان تجمع الذئاب ليجدوا أن الجميع قد حضروا بالفعل، ووقفوا جميعًا أمامه، حين قال أحدهم:
*ما الخطوة التالية يا محمود؟
صمت محمود قليلًا، ثم قال:
*أريد من الجميع أن يقفوا في تسعة صفوف، بحيث يكون الصف الواحد عبارة عن ثلاثة أشخاص، وأريد من بعض من سأختارهم أن يأتوا إلى هنا بجانبي .
بدأ الجميع يتشكَّل بالطريقة التي أرادها محمود، وحينها قال:
*ستأخذ كل مجموعة من المجموعات التسعة ثلاثة حروف، وعلى حسب هذه الحروف، ستتجه إلى الملاجئ التي تماثلها، سيكون واجبكم الأول والأخير هو إخبار جميع الذئاب خبر وفاة القائد بأي ثمن، خذوا حذركم، فنحن لا نعرف بعد من هم هؤلاء الأشخاص، ولا كم عددهم .
انطلق الجميع كلٌ في طريقه، ووقف محمود مع أربعة آخرون، من بينهم سارة داخل الكوخ، والتفت إليهم قائلًا:
*إن واجبنا نحن سيكون أخطر بكثير من الباقين، ولذلك لقد قمت باختياركم بعناية، سوف نقوم نحن الخمسة بتجميع كل المعلومات الممكنة عن هؤلاء الذين قاموا باغتيال القائد، وسنجتمع هنا كل خمسة ساعات، وسنأخذ أربعة ساعات راحة بين كل ثلاثة مرات .
صمت قليلًا، ثم أكمل بهدوء:
*إن عددنا قليلٌ للغاية، ولذلك سوف يقوم كل منَّا بأداء واجبه بمفرده؛ وذلك لتغطية أكبر مساحة ممكنة،
والتمعت عيناه بنظرة العزم، حين قال:
*هيا، فلننطلق جميعًا على بركة الله .

* * *

مضى أسبوع منذ أن انتشر ذئاب الملجأ "ص" .
وكان كل فريقٍ يقوم بواجبه بمهارة وحنكة، ولكن نتائج البحث التي يقوم

بها محمود وسارة لم تسفر عن أية معلومات بعد .
وفي اليوم السابع، وصلت الأخبار، ولقد كانت غير مبشرة أبدًا .
في اليوم السابع وصل أحد ذئاب الملجأ "ص"، وطلب مقابلة محمود .
وعندما سأله محمود عن سر عودته، قال:
*لقد قمت بجمع بعض المعلومات من خارج مجموعاتنا، ولقد علمت أن هؤلاء المسؤولين عن مقتل القائد سوف يجتمعون في الملجأ "ع"، وأن لديهم ما سيقولونه للناس هناك .
*ألا تعلم ما يريدون قوله؟
*لا يا محمود، إن هذا كل ما أعرفه .
صمت محمود قليلًا يفكر فيما سمعه، ثم قال:
*حسنًا، سيجتمع ذئاب الملجأ "ص" جميعهم مرة أخرى، وسيعودون لأعمالهم السابقة لحفظ السلام داخل الملجأ، على أن يكونوا حذرين من أن يثيروا أية مشاكل؛ حتَّى لا نجذب انتباه هؤلاء الرجال، وسأتجه أنا والأربعة الذين معي إلى الملجأ "ع"؛ أريد أن أعلم ما الذي يجري بالضبط .
*وماذا إن قابلنا أحد هؤلاء الرجال يا محمود؟
*فلتبقوه حيًا قدر المستطاع، لحين عودتي .
وافقه الجميع، ثم اتجه كلٌ منهم لأداء ما طُلِبَ منه،
في حين اتجه محمود وفريقه إلى الطريق المؤدي إلى الملجأ "ع" .
وعقل كل منهم يختلج بأفكار ومخاوف عديدة، ولكنهم جميعًا قد اتفقوا على شيء واحد، أن عليهم أن يتجهوا بأقصى سرعتهم ليشهدوا ما سيحدث في الملجأ "ع" .
وأن يمنعوه لو تطلب الأمر .

* * *

منذ أن استقر الجميع داخل الملاجئ وقد علموا أن صعود أحدهم على منصَّة أي ملجأ يعني أن يجتمعوا كلهم أمام هذه المنصَّة، وبأقصى سرعة .
وبالفعل اجتمع الجميع في الملجأ "ع" أمام المنصة .

---

وبعد مرور حوالي ساعة وقف الرجل الذي قام باغتيال القائد، وقد كانت ملابسه مختلفة تمامًا عن ملابس الجميع .
تساءل الجميع عن معنى صعود هذا الرجل إلى المنصَّة، وانتظر هو حتَّى صمت الجميع ثم بدأ بالتحدث قائلًا:
*يا أيها الناس، لقد اجتمعت بكم اليوم لأطلعكم على التغيير العظيم الذي حدث، من الآن فصاعدًا لن يكون هناك ما يدعى بالقائد، وإنما سيتولَّى الإمبراطور شيزو سير الأمور جميعها منذ هذه اللحظة .
بدأ الجميع يتساءل عمَّا يعنيه هذا الرجل بحديثه، حين أكمل هو قائلًا:
*لقد تم اغتيال القائد على أيدينا، ولكن لا داعِ للقلق، إن هذا المختل لن يتحدث مرَّة أخرى عن خطته المجنونة لإنهاء التكنولوجيا، بل سيكون خروجنا من هنا بداية جديدة لعصر أكثر حداثة، عصر الرجال الآليين، عصر الآلات الحربية، عصر الشاشات، ألم تملُّوا من هذه الحياة التي فرضها علينا ذلك الوغد؟ ألم تشتاقوا لأن تعودوا لحياتكم الطبيعية؟ تلكم الحياة التي سهَّلت علينا جميعًا بلايين الأمور، الحياة التي نعمنا جميعًا بها قبل أن يأتي هؤلاء ليسيطروا علينا جميعًا .
أثار هذا الحديث بلبلة فكرية بين الجميع .
بعضهم كان يشعر بالخوف من أن يعود لحياة المخاطر التكنولوجية، وأن تنتهي حياته هذه التي هنأ بها لخمسة أعوام .
ولكن على النقيض، فقد أُعجب البعض بالفكرة، كان معظم هؤلاء هم الذين سيطروا على العالم سابقًا، وقد كانوا يريدون العودة إلى هذه الحياة بأي طريقة .
صمت الرجل طويلًا ليتركهم جميعًا في حيرتهم القاتلة، حين تقدم الرئيس الألماني بجانبه، وقال بأعلى صوته:
*يبدو أن هذا هو الوقت الفصل يا سادة، لقد تم اتخاذ الإجراءات اللازمة، ولكن الأهم من هذا هو رأيكم، والآن من سيأتي معي فليتفضل بالانفصال عن هذا الجمع، ويتجه إلى الجانب الأيسر، ومن يخالفني فليتجه إلى الجانب الأيمن،

ولكنني أحذركم، فمن سيخالفني سوف يلقى عقابًا شديدًا، عقابًا لن يكون لكم طاقة لتحمله .
صمت الرئيس قليلًا؛ ليترك لهم وقتًا للاختيار .
ولكن لم ينفصل أحد .
لقد بقي الجميع ملتصقين معًا وكأنهم قد اختاروا مصيرهم بأنفسهم، مما جعل الرئيس يصرخ بغضب قائلًا:
*هل أنتم جميعًا صمٌّ؟ لقد أخبرتكم أن تختاروا، فلتتحركوا جميعًا .
ولكن المنظر استمر كما هو، أحدٌ لم يتحرَّك .
احمرَّ وجه الرئيس من فرط الغضب، وصرخ مرَّة أخرى:
*اللعنة عليكم جميعًا، سوف أنفِّذ خطَّتي حتَّى إن وقفتم جميعًا بوجهي، إنكم مجرد أول ملجأ ألجه، وعصيانكم لن يغير شيئًا على الإطلاق، سوف أكمل خطَّتي بعد أن أتأكد من السيطرة التامة عليكم و . . . . . .
انقطع حديث الرئيس فجأة، وقد كان السبب غير قابل للتصديق بأي حال من الأحوال .

* * *

وصل محمود إلى الملجأ "ع" بحلول الشروق، واتجه بأقصى سرعته –هو وفريقه- نحو المنصَّة المقامة في أقصى الشرق .
وعندما وصلوا إلى المنصَّة شهدوا اللحظة التي طلب فيها الرئيس من الناس أن يختاروا اتباعه من عدمه .
ولكن ما حدث بعد ذلك قد صدمه بشدة .
ليس بالنسبة له فقط، بل بالنسبة للجميع أيضًا .
ففي اللحظة التي سبقت إنهاء الرئيس لجملته، انطلق سهمان في فراغ الملجأ .
سهمان اخترقا رأسَّي الرئيس ومساعده .
وفي اللحظة التالية مباشرة، ظهر هو .
كان ظهوره بمثابة ظاهرة كونية، وأشبه بمعجزة إلهية .

لقد كان هذا الشخص هو القائد بنفسه .
وصمت الجميع من شدة اندهاشهم .
لم تكن المفاجأة بسيطة بالنسبة لهم جميعًا، وخصوصًا محمود، الذي رأى جثَّة القائد ملقاة أمامه داخل الكوخ،
ولكن الأمر الواقع هو أن القائد وقف أمامهم جميعًا،
بشحمِه ولحمِه .
كان الجميع ينتظر شرحًا لما حدث من القائد، وقد بدأ هو الحديث:
*يبدو أن القدر قد أراد أن يوصل لنا رسالة، ولقد كانت واضحة للغاية، إنكم تعلمون جيدًا لِمَا أنتم هنا، تعلمون جميعًا ما سبب تركِكم للحياة القديمة البائسة وترحيبكم بحياتكم الجديدة، ولكن يبدو أن هناك بعض الأشخاص الذين لا يزالون يرغبون بالعودة للماضي .
صمت قليلًا ليتركهم يستوعبوا كلامه، حين أكمل:
*إن هذا خطأي أنا، لقد كانت قوانين الملاجئ واضحة، وتنص على أنه من سيجرؤ على الحديث عن حياة الماضي سوف يُحرَم من مؤنه اليومية، وسيترك حتَّى يموت، وأنا أقسم أنه منذ اليوم، سوف يتم تطبيق جميع القوانين بشدة، وأن أحدًا لن يهرب من العقاب .
أنهى القائد حديثه، ثم اتجَّه بعصبيَّةٍ لم يشهدها أحد منه من قبل خارج المنصَّة .
ولكن محمود لحقه بسرعة، وسأله حين وصل إليه:
*كيف عُدتَ يا سيدي؟ لقد وجدتُ جثتك بنفسي، فكيف لا تزال حيًّا؟
ابتسم القائد وقال:
*إذًا أنت هو الشاب الشجاع الذي قام بنشر الخبر وأسر بعض هؤلاء الأوغاد، إنك تستحق الإعجاب حقًا، ما رأيك في أن أجعلك قائدًا من قوَّاد الذئاب أيها الشاب؟
*ولكنني كذلك بالفعل يا سيدي، ألا تعلم من أنا؟ أنا محمود أحد القوَّاد، ومساعدك من الملجأ "ص" يا سيدي .

*أعذرني يا محمود، يبدو أن الطعنة قد أثَّرت على عقلي قليلًا، ولكنني سأستعيد عافيتي قريبًا بإذن الله .
قالها القائد وأكمل طريقه محاطًا بمجموعة من الذئاب لحمايته، وقبل أن يبتعد نظر لمحمود وقال:
*لا تقلق يا فتى، سوف تعود الأمور إلى مجراها مرة أخرى، ولن يتذكر أحد ما حدث اليوم .
ابتعد محمود مع رفاقه عائدين مرَّة أخرى إلى الملجأ "ص"، في حين دارت في رأسه أفكارٌ متشابكة، وامتدَّت هذه الأفكار كثيرًا حتَّى بدا أنها لن تفارقه مهما حيا .
*بم تفكر يا محمود؟ إنك صامتٌ هكذا منذ أن عدنا من الملجأ "ع"، من المفترض أن تبتهج؛ فقد أدَّيتَ واجبك كاملًا، وساهمتَ في إنقاذ الجميع .
*إنني فقط أفكر في حديثي مع القائد اليوم، هل تعلمين أنه لم يعلم من أكون؟
*ولكن كيف هذا؟ إنك مساعد القائد في هذا الملجأ، بل الأدهى أنك أكثر شخص يعرفه القائد، وأكثر من قضى وقتًا معه .
*وبالرغم من هذا فإن كل ما قاله هو أنني الشاب الشجاع الذي نشر الخبر، وأسر بعض الأوغاد، حتَّى أنه دعاني لأكون قائدًا من قوَّاد الذئاب .
*يبدو أن هناك شيئًا مريبًا يحدث للقائد، ولكن كيف لنا أن نعرف؟
نعم، إن السؤال الآن هو كيف؟
كيف؟

*  *  *

# الفصل التاسع: التوأم

جلس هاشم بجانب رفاقه الثلاثة، يرافقهم السيد مازن ودافيد، في الكوخ الخاص بسامح وسلمى، وقال:

*إن عقلي الآن يتكون من مجموعة ضخمة من الأسئلة، أنا لا أفهم شيئًا مما حدث اليوم على الإطلاق .

أجابته سلمى:

*إن معك الحق تمامًا، لقد حدث كل شيءٍ بسرعة شديدة، لدرجة أننا لم نستوعب ما حدث .

أكمل سامح:

*والأدهى أن القائد قد ترك الملجأ "ع" واتجه إلى الملجأ "ك"، ولا توجد فرصة لرؤيته إلَّا بعد أن ينهي جولته المعتادة حول باقي الملاجئ، أي بعد حوالي نصف عام من الآن .

قال السيد مازن:

*لقد سمعت أن الذئاب قد قامت بالقبض على عشرين شخصًا، مِن مَن قد عُلم أن لهم يدًا فيما حدث، وقد سمعت أنهم أول من سيُطبَّق عليهم القانون .

وقال دافيد:

*وأنا قد سمعت أن هناك شابًا يُدعى محمود، وقد كان له فضل انتشار خبر وفاة القائد، وذلك قبل أن يظهر القائد مرَّة أخرى .

عاد هاشم ليقول:

*الغريب في الأمر أن القائد لم يوضِّح ما حدث، لقد اكتفى بقول أن الأمور ستسير كما هي، وهذا ليس من طباع القائد، فقد كنا نعرفه دائمًا بالتفاهم، كان دائمًا ما يوضِّح لنا كل ما يحدث، وهذا ما ساعدنا أن نحتمل كلَّ هذا الوقت .

صمت الجميع .

---

لم يكن هناك من يستطيع أن يجيب على أسئلتهم، ولكن جميعهم علموا أن الإجابات كلها تكمن هناك .
عند القائد .

*  *  *

*أخشى أن سيادتك قد عجَّلت بظهورك يا سيدي، أنت تعلم أن الذئاب كانوا قادرين على أن يقوموا بالمطلوب .
*أعلم هذا يا مجدي، ولكن خشيت أن تفسد خطتنا، كنت أخشى كثيرًا أن يستطيع هذا الألماني أن يسيطر على الوضع هنا .
*إن هذا الوغد لم يحسب حساباته جيدًا، لقد تسرَّع في تنفيذ خطته مما أعطانا فرصة إنهاءها قبل أن تبدأ، حتَّى أننا قد قبضنا على كل من شارك في تنفيذ خطته .
كان هذا الحديث يدور بين القائد ومساعده مجدي في الكوخ الموجود في الملجأ «ك» .
صمت مجدي بعد أن أنهى جملته الأخيرة قليلًا، ثم قال:
*إن المحزن حقًا هو موت . . . . .
أوقفه القائد بإشارة من يده، وقال:
*لا أحد يذكر ما مضى يا مجدي، لقد حدث ما حدث، والآن لنمضي بخطتنا للنهاية، فلنعمل لغدٍ، للمستقبل .
كان مجدي يعلم أن هذه الجملة تعني نهاية الحوار، فقام من مكانه، حيَّا القائد بقوة ثم غادر الكوخ .
بعد أن أصبح القائد وحيدًا في الكوخ، أسند ظهره إلى الحائط، وأغمض عينيه تمامًا .
كانت ذاكرته تسرح بعيدًا، بعيدًا جدًا .
لقد رأى رجلًا يرتدي زيَّ الحرب في العصر القديم واقفًا أمام مقعدٍ ضخم يجلس عليه شيخٌ كبير، من الواضح أن الجالس على المقعد هو الملك، وقد كان ذلك يظهر على ملامحه .

بدا المكان أشبه بقلعة ضخمة، وقف الرجل الأول أمام الثاني وعلى وجهه آثار الفرح، وسمعه يقول بصوتٍ عالٍ:
*إنهما توأمان يا مولاي، لقد رزقني الله بصبيَّين يا سيدي .
ثم خفض صوته وقال:
*يبدو أنك قد أصبحت جدًا يا أبي .
وفجأة اختفى المكان بالكامل،
وكأن ثقبًا أسودًا قد ابتلعه في أقل من ثانية .
وبدأت صورة أخرى بالظهور،
كانت الصورة عبارة شابَّين قد بلغا الحادية عشرة لتوِّهما، وقف كلٌ منهما أمام الآخر ممسكًا سيفًا حادًا .
لم يكن قتالًا، لقد كان تدريبًا في ساحة القصر، والتحم السيفان .
قاتل كل من الشابين بمهارة يحسد عليها، حين جاء صوتٌ من الخلف يقول:
*أيها الأميرين! لقد حدثت كارثة، علينا جميعًا الرحيل من هنا .
وكالمرَّة السابقة، اختفت الصورة بغتَّة .
ثم ظهر مكانها صورة رجلين يقفان بجانب بعضهما، ويمسك كلٌ منهما بيدِ الآخر .
قال الأول:
*فلنتعاهد أن نكمل خطتنا للنهاية .
*نعم، فلننقذ هذا العالم مما قد وصل إليه .
وفي صوتٍ واحد، صرخ الاثنان بعزم:
*إلى الأفضل .
كان من الصعب عليك أن تميز أحدهما عن الآخر،
لقد كانا نسختين طبق الأصل من بعضهما، وقال الأول:
*سوف أبدأ أنا الجزء الأول من الخطة، وستظهر أنت عندما أقضي نحبي .
*لا تقلق يا أخي، أعدك أن أكمل ما ستبدأه أنت بالطريقة نفسها، وأنني لن أخذلك .

---

واختفت الصورة مرَّة أخرى، ولكن في هذه المرَّة فتح القائد عينيه وقد أغرورقتا بالدموع، وقال وقد امتلأ قلبه بحسرة لا مثيل لها:
*أخي، سأفتقدك كثيرًا جدًا .

* * *

في اليوم الثاني جلس القائد مع مساعده مجدي داخل الكوخ، وقال بحزم:
*والآن، أريدك أن تخبرني بكل ما حدث منذ أن بدأ أخي تنفيذ خطته .
أخرج مجدي عدَّة أوراق من حقيبةٍ يحملها معه دائمًا، وناولها جميعًا للقائد قائلًا:
*سوف تجد هنا تفاصيل دقيقة بكل ما حدث، وإذا حفظتها فستكون نسخة طبق الأصل من أخيك، ولن يشك أحد بما حدث .
*ولكن يبدو أنني قد ارتكبت بعض الأخطاء في اليوم الذي ظهرتُ فيه، فهناك شابٌ يدعى محمود جاء ليسألني عمَّا حدث، ولكنني لم أعلم ما أقوله حينها .
*إن هذا الشاب هو أفضل الذئاب لدينا في الملاجئ جميعها، وقد كان له الفضل في أن نقبض على جميع هؤلاء الخونة، ولكن لا تخف، فردُّ فعلك هذا من الممكن أن يحدث بعد أن تم طعنك من قِبَل هؤلاء الأوغاد .
*لقد رأى الشاب أخي، وتأكد من أنه قد مات، لا يمكننا تزييف الأمر بالنسبة إليه .
صمت مجدي قليلًا يفكر، ثم قال:
*لم لا تخبره بالحقيقة يا سيدي؟ إنه أحد مساعديك، والأهم أنني أرى أن شخصيته تستحق الثقة، وأنا متأكد من أنه لن يفشي السر أبدًا .
*حسنًا يا مجدي، اتركني الآن لأقرأ هذا الورق، وسأقرر بنفسي ماذا أفعل .
قام مجدي من مكانه، حيَّا القائد بقوة ثم غادر الكوخ .

* * *

مضى شهران منذ أن عاد محمود وفريقه من الملجأ "ع"، عادت فيها الأمور إلى ما كانت عليه قبل حادثة مقتل القائد،
ولكنها لم تعُد كما كانت في رأس محمود .

---

فمنذ أن عاد من هناك لم يهدأ عقله من التفكير فيما حدث،
وقد رأى رفاقه جميعهم ذلك في عينيه طوال الشهرين .
وفي يومٍ جلست سارة بجانبه، وقالت بهدوء:
*لِمَ تبدو شاردًا هكذا؟ ألا زلت تفكر فيما حدث؟
*أنا أعلم ما رأيت يا سارة، وأنتِ تعلمين أنني لا أخطئ في التفريق بين الأموات والأحياء، وأنا أعلم أنني قد رأيت القائد ميتًا .
*ولكن كيف عاد؟ أنت تعلم أن الأموات لا يعودون للحياة يا محمود .
*وهذا بالذات ما يشغل بالي يا سارة .
صمت الاثنان بعض الوقت حين جاء مساعد محمود وقال:
*إن سيادته قادمٌ إلى هنا يا محمود .
سأله محمود بتعجُّب:
*من تقصد يا وليد؟
*لقد أعلن القائد أنه سيتخطَّى زيارة باقي الملاجئ، وأنه سيأتي إلى الملجأ "ص"، وسيصل هنا الأسبوع القادم .
*ألا تعلم ما سبب هذه الزيارة المفاجئة؟
*لا يا محمود، لا أعلم شيئًا .
*حسنًا، انصرف أنت الآن، وشكرًا على توصيل الأخبار .
ألقى وليد التحية، وعاد لموقعه مرَّة أخرى .
جلس محمود وقد تضاعفت الأسئلة داخل عقله،
ما الذي حدث ليجعل القائد يعود مرَّة أخرى إلى الملجأ "ص"، وقد تجاهل باقي الملاجئ؟
ولكن محمود قد تجاهل كل ذلك، وقرر أن يواكب العمل، وقد عزم على ألَّا يترك القائد يغادر هذه المرة، إلا وقد علم ما حدث، وبالتفصيل .

* * *

مضى الأسبوع بسرعة، وقد ذهب محمود لينتظر القائد عند المدخل الجنوبي للملجأ، وعندما وصل القائد، استوقفه محمود .

---

ألقى محمود التحية بقوة، في حين خرج القائد من العربة التي يجرها حصانان، ووقف أمام محمود .
كان محمود ينوي أن يطلب من القائد أن يتحدَّث معه قليلًا، ولكن العكس هو ما حدث تمامًا، لقد قال القائد بصوتٍ قوي:
*محمود، لقد اشتقت إليك كثيرًا، لقد جئتُ إلى هنا خصوصًا لأتحدث إليك، هيَّا، اصعد معي إلى العربة، سنجلس في كوخي لنتحدث .
صعد محمود إلى العربة التي اتجهت إلى كوخ القائد، وبعد مرور ربع الساعة وصلت العربة، ونزل منها الاثنان ومعهما مجدي .
دخل الثلاثة إلى الكوخ، وجلسوا في شبه دائرة .
تحدَّث القائد، قائلًا:
*أنا أعلم أن ما حدث في الفترة السابقة غير مفهوم بالمرَّة، وأعلم أنني أدين للجميع بشرح كامل، ولكنني لا أستطيع، فذلك الشرح هو سر الأسرار، ولكنني جئتُ إليك، لأنَّك أكثر الناس الذين يجب أن أطلعهم على كل شيء .
قال محمود وقد زوى ما بين عينيه:
*أنا لديَّ تخمينان يا سيدي، إما أن الذي قد لقي مصرعه هناك لم يكن القائد، وأنه كان فقط طعمًا لمن قتلوه، أو أنك أنت لستَ القائد .
*بل ليس هذا أو ذاك يا محمود، إن الأمر أعمق بكثير مما تتصور .
صمت القائد، وأخذ نفسًا عميقًا وهو يستعد للحديث، ثم قال:
*لقد بدأ الأمر في زمنٍ بعيد في قلعة ضخمة في مصر، لقد أنجب الأمير صبيَّان توأمان، وقد أخبره المنجِّم -كما كانت العادة عند الملوك والأمراء باستشارة منجِّم بعد الحصول على صبي -أن هذين الصبيين سيكون لهما مستقبلٌ عظيم، وعندها فرح الأمير كثيرًا، وبدأ في تجهيز التوأم لهذا المستقبل العظيم، حتَّى أنه حرص أن يُتقنا كل أنواع الفنون القتالية، وفي يومٍ من الأيام، حدثت حربٌ طاحنة، حربٌ قضت على مملكة الأمير بأكملها، إلَّا أَن التوأمين قد نجيا بفضل ذراع الأمير الأيمن، وبعد أن هرب الأميران الصغيران تبنَّاهما رجلٌ صالح، ووعد الرجل الذي أنقذهما أنه سيرعاهما جيدًا، وبالفعل قام الرجل بتربية الصبيين

جيدًا، حتَّى بلغا أشدهما، وحينها كان العصر قد تغيَّر كثيرًا، فقد بدأ عصر الاختراع بالظهور، ولقد كان الأميران من الذين كرهوا هذا التطور، ولذلك فقد وضعا خطَّة كبيرة للغاية، وهي أن ينهيا هذا العصر إلى الأبد .
صمت القائد قليلًا ليلتقط أنفاسه، وصمت الجميع احترامًا له، حين أكمل هو:
*لقد كانت الخطة هي أن يقوم أحد التوأمين ببداية الخطة، وحين يقضي نحبه، يظهر الأخُّ الآخر ليكمل ما بدأه الأول، وبدون أن يلاحظ أحد ذلك .
قال محمود:
*ولكن ألن يكون الأخ الثاني بنفس عمر الأول حين يموت، مما يعني أنه معرَّض للموت في أيَّة لحظة بعد أخيه .
قال القائد:
*نعم بالفعل، ولذلك فقد كان هدف الأخ الثاني الأول هو البحث عن وريثٍ له بعد موته، على أن يكون شخصًا يثق القائدان في أمره، لدرجة أن يمنحاه حكم الملاجئ جميعها، وحُكم الجميع بعد الصعود إلى السطح، وقد كان الأخ الأول يبحث طوال فترة حكمه عن هذا الوريث، وحين يجده سيخبر الأخ الثاني عن هذا الشخص؛ حتَّى يكمل تحرِّيه عنه .
قال مجدي لأول مرَّة منذ بدأ الحوار:
*ويبدو أن الأخوين قد اجتمعا أخيرًا على هذا الوريث .
كان يقولها وهو ينظر لمحمود، وقد فهم الثاني ما يرمي إليه الأول .
لقد وقع الاختيار على محمود ليكون القائد القادم، فيا له من نصيب .
ويا لها من مسؤولية .

* * *

# الفصل العاشر: الخُطَّة

بدأ الشبَّان في الجلوس حول دافيد في اليوم الثالث، منذ أن طلبوا منه أن يقصَّ عليهم ما حدث .
وفي بداية اليوم، ارتفعت الشمس بهدوء لتغطي السطح بإشراقها الذي يبعث الأمل والحياة في نفوسهم جميعًا، وحين اكتملت الدائرة، بدأ دافيد الحديث قائلًا:
*مرحبًا بكم جميعًا يا سادة، هلَّا مضينا في قصَّتنا؟
أومأ الجميع برؤوسهم علامة الإيجاب، فأخذ دافيد نفسًا عميقًا وبدأ في سرد ما لديه .

* * *

جلس محمود بجانب سارة داخل الكوخ الرئيسي للذئاب في الملجأ "ص"، وكان يبدو شاردًا بشدَّة؛ مما جعل سارة تتساءل عمَّا حدث بينه والقائد .
فمنذ أن عاد محمود وقد بدا من الواضح جدًا أن عقله يقبع في عالمٍ آخر .
اقتربت سارة منه بهدوء، وقالت بصوتها الحاني:
*ماذا هناك يا محمود؟ هل حدث شيءٌ آخر للقائد؟
أومأ محمود برأسه علامة النفي، ولكنه استمر في صمته دون أن ينبس ببنت شفَّة .
زاد ذلك من قلق سارة، مما جعلها تقول بصوتٍ حازم:
*حسنًا يا محمود، أنا لا أعلم ما حدث، ولكن جلوسك هنا لن يحقق شيئًا، ستأتي معي الآن لنسير قليلًا في الخارج، فمن الواضح أنك في حاجة إلى بعض الهواء الطلق .
كان رد فعله مخالف لما اعتقدته هي، فلقد قام واقفًا وقال:
*أنت على حق، لا بد من الخروج قليلًا .

قالها واتجه معها إلى الخارج، وبدأ الاثنان في السير بهدوء، وفجأة توقَّف محمود ووجَّه بصره ناحية سارة، وقال بجدية:
*لا يمكنني أن أحمل هذا الثقل وحدي يا سارة، إن الأمر بغاية الصعوبة .
ابتهجت سارة لكون محمود قد بدأ الحديث .
ثم إنها قد ردَّت قائلة:
*ما الأمر يا محمود؟ أخبرني .
صمت محمود قليلًا، ثم بدأ بسرد ما حدث بينه والقائد حين أخبره الثاني أنه تم اختياره ليكون القائد القادم .
صمتت سارة بدورها بعد أن انتهى محمود من سرد ما لديه، ثم قالت:
*إنها مسئولية كبيرة بحق، ولكن .
*ولكن ماذا؟
*أنا أرى أنك أكثر الموجودين كفاءة لأن تكون القائد يا محمود؛ فأنت تمتلك كل المقومات اللازمة لذلك .
*لا أعلم إن كان الجميع يرى هذا فيَّ، أم أنك وحدك في هذا .
*لم لا تستشير آلاء في هذا؟
*آلاء؟
*نعم، إنها أكثر من عرفتُ حكمة، غير أنها ليس لها مصلحة من وراء ما ستقول .
صمت محمود مرَّة أخرى ثم قال:
*ولم لا!
غيَّر الاثنان اتجاههما، وسارا في الاتجاه الثاني قليلًا، حتَّى وصلا إلى كوخٍ يختلف عن باقي الأكواخ كثيرًا .
كان الكوخ يبدو شديد الجمال، وقد طُبِعَت عليه بعض الرسومات البرَّاقة، ونمَت بعض الزهور الفوَّاحة حوله .
الشمس بدأت تشرق بهدوء لينتشر ضوؤها بسلاسة في الأفق .
انتظر الاثنان على بعد من الكوخ؛ حتَّى يتأكدا من أن آلاء قد استيقظت؛ حتَّى لا يقطعا عليها نومها الهادئ .

---

مضى بعض الوقت حتَّى وجد الاثنان آلاء بوجهها الذي يعكس شروق الشمس في بريقه، وزيَّها الذي يتطاير مع نسمات الهواء .
كانت تقف بهدوءٍ شديد، بطولها الذي يميزها عمَّا حولها، وشعرها الأشقر الذي يتطاير كنسيج الذهب الخالص .
والتمعت عيناها العسليَّتان وهي تنظر إلى محمود وسارة الواقفين من بعيد، وازداد وجهها إشراقًا حين رفعَت يدها تحيِّيهما، حتَّى ليقسم المار أنه قد شاهد الشمس بعينها .
أو أنه القمر، ذلك الخاطف للأبصار برغم انتشار النجوم حوله .
تحَّرك محمود وسارة نحوها بهدوء، ومضى بعض الوقت من السلام، ثم دعتهما آلاء للدخول إلى كوخها حتَّى تحضِّر لهما مشروبًا منعشًا .
بعد أن استقر الثلاثة داخل الكوخ، بدأت سارة حديثها قائلة:
*نحن آسفان على إزعاجك يا آلاء في هذا الوقت .
ابتسمت آلاء ابتسامة تضاهي جمال الزهور، وقالت:
*على العكس يا عزيزتي سارة، إن وقت الشروق هذا هو أفضل وقت للحديث، وأنتما مرحَّبٌ بكم في أي وقت .
أكملت سارة:
*إن هذا الموضوع في غاية الأهمية، ونحن لم نجد من هو أكثر منك حكمة لنلجأ إليه .
*إذًا فلتدخلا في صُلب الموضوع .
بدأ الاثنان يحكيان كلَّ ما حدث بين محمود والقائد، وكانت تعابير وجه آلاء لا تتغيَّر، لقد استمرَّت ابتسامتها كما هي على وجهها، ولم تنطق بكلمة واحدة .
حتَّى قالت سارة:
*وهذا هو جلَّ ما حدث يا آلاء، فما رأيك؟
أغمضت آلاء عينيها قليلًا دلالة على تفكيرها العميق، ثم فتحتهما قائلة:
*لقد كنت من أكثر الشُّبان شجاعة يا محمود، وأنت بالفعل أكثر من أعرف قادر على تولِّي أمور القيادة، ولكن لقد نجح القائد الأول والثاني لأنهما قد خطَّطا لما

أرادا عمله لباقي عمرهما، أما أنت فقد جاء الأمر إليك بدون أيَّة مخططات، ولذلك سيكون الأمر أعسر عليك منهما .

قال محمود:

*إن هذا ما كان يشغل بالي بالتحديد، حتَّى أنني قد فكَّرت في أن أرفض عرض القائد .

أكملت آلاء بابتسامتها:

*سيكون هذا القرار أسوأ لنا من أن توافق يا محمود، إن البحث عن القائد القادم لا يكون هكذا بسهولة، ولا تعتقد أن لدى القائد ومساعده الوقت الكافي ليبحثا من جديد عن قائد، ولكن الحل الأمثل هو إيجاد حلول للمشاكل التي تقف بينك وأن تغدو قائدًا .

*وهل لديك مثل هذه الحلول؟

*إن عندي بعض الاقتراحات التي من الممكن أن تجعل الأمر أقل عسرًا مما هو عليه .

*وما هي؟

*لقد نجح القائدان في ما خطَّطا له -كما ذكرتُ سابقًا- لأنهما قد أخذا فترة كبيرة في التخطيط لهذه المرحلة، وبما أنك لا تملك مثل هذا الوقت للتخطيط، فإن الحل الوحيد هنا هو أن تعثر على من يمكنهم مساعدتك في هذا، أعني أن تختار ممن تعلم في هذا الملجأ مِن مَن هم الأكثر خبرة، وأمانة ومقدرة على تحدِّي الصعاب .

صمت محمود قليلًا يفكر في هذا الكلام، في حين أكملت هي:

*أنا أعلم أن هذه هي نفس الطريقة التي كان يسير بها العالَم قبل أن يظهر القائد، ولكنني أرى أنه من المستحيل أن يقوم أحد وحده بتولِّي أمر العالم أجمع وحده .

قالت سارة:

*ولكن، أليس من الخطر أن تتمدَّد السلطة مرَّة أخرى؟ نحن لسنا متأكدين من أن الجميع يقصدون الخير .

---

*نعم يا عزيزتي سارة، أنا أعلم هذا، ولكن تخيَّلي معي الخيار الأسوأ، أن يموت القائد وينقلب الجميع على عقبهم مرَّة أخرى، ولكن بدون من يحكمهم، تخيَّلي عالمٌ حيث يقوم كلٌ منَّا بفعل ما يرغب فيه دون العودة إلى قوانين أو أعراف، ألن يكون من الحكمة أن ننقذ ما يمكن إنقاذه؟

وفجأة التمعت عينا محمود بشدة .

التمعت حتَّى لقد بدتا كشهابٍ يحلِّق في فضاءٍ سرمدي ليس له نهاية .

وفي اللحظة التالية، قام واقفًا وقال:

*شكرًا لكِ على كلامك يا آلاء، لقد قذفتي بالحل في عقلي من دون أن تدري .

وبدون أن تتغيَّر ابتسامة آلاء، غمزَت بعينها اليمنى وقالت:

*أو أنني كنت أدري يا محمود .

قالت سارة بانزعاج:

*ما هذه الأحاجي التي تتقاذفانها؟ ما هو الذي فهمته يا محمود؟

قال محمود:

*لا وقت للشرح يا سارة، ستأتين معي إلى القائد، وستعلمين كل شيءٍ هناك .

قالها وجذبها من ذراعها كعادته كلما كان في عجلة من أمره، وخرج الاثنان من كوخ آلاء متجهين إلى كوخ القائد .

* * *

*ماذا تعني بهذا يا محمود؟

*أنا أعلم أنها خطة صعبة، بل في غاية الصعوبة لتتحقَّق، ولكن تخيَّل يا سيدي نتائجها على العالم أجمع، تخيَّل كيف سيتغيَّر هذا العالم بالطريقة التي أردتَّها أنت وأخوك -رحمه الله- .

صمت القائد قليلًا يفكر فيما قاله محمود، حتَّى بدا أنه قد انتقل بعقله إلى عالمٍ آخر، كان يدرس خطَّة محمود من جميع النواحي، كان يعلم أنه إن فشلت هذه الحطَّة، فإن العالم سيعود أسوأ مما استلمه أخوه .

ولكنه عندما ينظر إلى وجه محمود، يرى ملامحه كلَّها تتحدث .

تصرخ بصوتٍ عالٍ لتقول أن صاحبها على حق، وأنه لن يهدأ حتَّى تنجح

خطَّته تمامًا .
وحين عاد القائد من عالم تفكيره، نظر إلى عين محمود مباشرةً .
أراد أن يطمئن إلى أن هذا الشاب لن يخذله أبدًا، وأنه سيبذل كل ما لديه من قوة وطاقة حتَّى يصل بهذا العالم إلى برِّ الأمان .
وحين انعكس التماع عيني محمود على عيني القائد،
حينها فقط قال القائد بحزم:
*حسنًا يا محمود، لقد تم اختيارك لتكون القائد من بعدي، وأنا موافق على أن تنفِّذ خطتك هذه كاملةً .
وقف محمود بحزم، وانحنى بقوة أمام القائد قائلًا:
*أعدك أنني لن أخذلك يا سيدي .
قال القائد بعزم:
*سأراك غدًا صباحًا هنا في كوخي يا محمود، فعليك أن تبدأ بتعلُّم كل ما يخص هذه الملاجئ، وأيضًا عما سيكون عليه السطح حين نصعد بإذن الله .
أدَّى محمود التحية بقوة، ثم خرج من الكوخ .
وعندما خرج وجد سارة تقف بانتظاره في الخارج، وقد احمرَّ وجهها من الغضب .
وقالت بمجرَّد أن اقترب منها:
*لماذا تتجاهلني هكذا يا محمود؟ لقد أخبرَتْكَ آلاء بالخطة بدون أن ألاحظ، والآن لقد ذهبتَ إلى القائد لتناقشا هذه الخطة بمفردكما، هل أنا الوحيدة الممنوعة من معرفة هذه الخطة؟
*لا تقولي هذا يا سارة، أنتِ تعلمين أنك أكثر من أهتم برأيهم، ولكنني أردتُ أن أتأكد من أنها ستلقى إعجاب القائد أولًا؛ لأنني لم أرِد أن تصابي بالحزن إذا ما أعجبتك الفكرة ثم رفضها القائد .
بدأ غضب سارة يهدأ بعد كلام محمود، حين قالت:
*وهل وافق؟
*نعم .

*إذًا ما هي تلك الخطة؟
بدأ الاثنان يتَّخذان طريق العودة إلى كوخ الذئاب، وقد بدأ محمود الشرح قائلًا:
*إن فكرة خطَّتي ليست جديدة، ولكن بالرغم من ذلك فأحدٌ لم يجرؤ على تجريبها حتَّى يومنا هذا، أنها تنصُّ ببساطة بأن أفضل حكم للبشر، هم البشر أنفسهم، ولكن هذا القانون كان مستحيل التطبيق في العصور القديمة؛ وذلك لأن الناس قد ابتعدت عن المبادئ التي تحكمهم، ولو حفظ كل شخصٍ المبادئ عن ظهر قلب، لن يحتاجوا لأحدٍ يسيِّرهم بعد ذلك .
*ولكن ألا تخف أن يأتي من يحاول حكمهم بالقوة، وإرشادهم مرَّة أخرى لعصور الظلام؟
*بل أنا متأكد من أنه سيأتي ملايين البشر، وأنهم سيحاولون استغلال عدم وجود حاكم أو قائد ليسيطروا على الجميع، ولكن أتذكري ما حدث حين جاء الرئيس الألماني وحاول تفرقة قاطني الملجأ "ع" ليكسب استجابتهم، حتَّى أنه قد هدَّد من سيميل عن طريقه بأقصى أنواع العقاب، وبالرغم من ذلك فقد تمسَّك الجميع بمبادئهم، ولم يحيدوا عنها، ماذا تظنين سيحدث إذا كان لدى الجميع نفس المبادئ والقيَم؟ هل تعتقدي حقًا أن هناك من سيتمكن من السيطرة عليهم؟
صمتت سارة قليلًا، ثم قالت:
*وما هي خطَّتك بالتحديد؟
*لقد أخبرني القائد أنني لن أحصل على السلطة قبل موته، ولكنه وافق على تطبيق ما سأقوله على أن يصدر الأمر منه؛ حتَّى لا يجرؤ من يخالف أمره، وذلك لأنه هو القائد الذي يعرفه الجميع، وسأبدأ بتنفيذ خطَّتي بأن أبدأ بخلط جميع قاطني الملاجئ .
*ماذا تقصد بخلطهم؟
*إلى الآن، نحن جميعًا نعلم أن كل ملجأ يضم مجموعة من سكان العالم، تعبِّر عن الدولة التي سكنوها قبل نزولهم، ولكن خطتي ستبدأ بأن يتناقل الجميع

من ملجأ لآخر، بحيث بعد أن تمر سنة واحدة لا يمكن أحد من أن يميِّز بعدها بعض البشر بأنهم أصحاب ملجأٍ ما، وأن يكون الزواج لمدة ثلاث سنوات بعد ذلك من قاطني ملجأ آخر، بمعنى أنك إن كنت من قاطني الملجأ "ح"، فيجب أن تتزوَّج من الملجأ "ي" وهكذا .

صمت قليلًا ثم أكمل:

*أما الخطوة التالية فهي توحيد اللغات؛ وذلك لأنه سيكون هناك بشر من مختلف الأعراق في مختلف الأماكن، وسيكون من الضروري جدًا وجود لغة موحدة يتحدثها الجميع، دونًا عن لغتهم الأصلية .

قالت سارة:

*وما هي المبادئ التي تنوي تعليمها للجميع؟

*أن هذه المبادئ ستتضمَّن في البداية أساليب العيش بدون الاعتماد على الآخر؛ وذلك حتَّى لا يحتاج الناس في يومٍ من الأيام إلى قائد أو حاكم، ثم سيكون هناك الحقوق والواجبات لكل فرد تجاه الآخر، وأهمية هذا البند للاستمرار في الحياة .

*وهل تعتقد حقًا أن الجميع سيكونون قادرين على الالتزام بهذه المبادئ؟

*لقد رأيت نظرات الجميع حين حاول الرئيس الألماني تفريقهم، ولقد أعطاني هذا شعورًا قويًا أن خطتي ستنجح، لقد اتَّحد الجميع بالرغم من أنهم قد قضوا أقل من خمس سنوات في تعلُّم بعض المبادئ، فما بالك بتعلُّم المزيد من هذه المبادئ وتطبيقها لخمس سنوات أخرى، ولكن في حين فشلت هذه الخطة، فسأعود إلى خطتكم القديمة، وهي أن أصبح أنا القائد القادم، ولكن حتَّى حينها سيكون العالم قد تغيَّر إلى الأفضل، سيكون بدون الحاجة إلَّا إلى رمز يجمعهم، لا أكثر .

* * *

# الفصل الحادي عشر: الصعود

مرَّت السنوات الأربعة الأولى التي تحدَّث عنها محمود، وقد سار كل شيءٍ كما خطَّط له تمامًا .
فقبل حتَّى أن تنتهي السنة السادسة، كانت الملاجئ قد تبادلت سكانها جميعًا، حتَّى أنك لم تعُد تميِّز أصل كل شخص إلَّا بعد أن تسأله .
وبانتهاء السنوات السابعة، والثامنة، والتاسعة كان الجميع قد تغيَّروا كليًّا، لم يَعودوا هؤلاء البشر الذين نزلوا إلى الملاجئ منذ تسع سنوات، لقد انسابت بينهم القيم والأخلاق، كما ينساب الحرير على الماء الصافي .
وانتشرت الفضائل الحميدة في نفوسهم كما تنتشر الروائح الحسنة في أرضٍ خضراء رائعة الجمال .
ثم كانت بداية السنة العاشرة .
لم يعُد القائد يسافر بين الملاجئ مثل السابق، بل إنه حتَّى لم يتلقَّ أي زيارة من أي شخص ليبلغه بمشكلة، أو يستفسر عن شيءٍ ما .
لقد غدا الجميع قادرين على الاعتناء بأنفسهم، ولم يعودوا بحاجة إلى من يرشدهم .
وفي يومٍ صافٍ من أيام يونيو، اتجه محمود إلى كوخ القائد الذي استقرَّ في الملجأ "ص" .
وجلس معه ليناقش بعض الأفكار التي تدور بخلده .
*ماذا تعتقد أن تكون الخطوة القادمة يا محمود؟
كان من الواضح أن القائد يقضي وقته الأخير في هذه الحياة .
وكان ذلك يظهر على معالم وجهه الذي أصبح مصفرًّا كما الأموات .
وكان ذلك يبعث القلق والحزن في قلب محمود .
كان حزينًا أن يفقد قائده .

---

أن يفقد الشخص الوحيد في هذه الدنيا الذي يعتبره كوالده .
كذلك هو خائفٌ وقلقٌ أيضًا؛ فهو يعرف أنه بمجرَّد موت القائد ستتحوَّل القيادة إليه هو .
وبالرغم من أنه هو الذي كان يصدر الأوامر في السنوات الأربع الماضية، إلَّا أنه لم يقف أمام الجمهور بنفسه .
لقد كان القائد دائمًا هو من يتصدَّر الصورة .
فكَّر محمود قليلًا فيما يجب أن ينتقل إليه في خطَّته، ولكنه لم يجد أمامه إلَّا الطريق الأخير الذي طالما خاف أن يسلكه،
لقد كان يعلم أن القائد لن يلبث أن يلحق بأخيه، وهو يخاف من ذلك بشدَّة .
بل يخشاه إلى حد الرعب .
ولكنه كان صريحًا مع نفسه كثيرًا، إذا لم يكن هو من يقوم بدور القائد الثالث، فلن يقوم بهذا الدور أحد آخر .
ومع هذه الحقيقة الأكثر رعبًا، نطق محمود وهو يرتجف:
*أخشى أنه من الضروري أن تعلن قيادتي يا سيدي في هذا الوقت .
*ألم تقُل أن خطتك تعتمد على أن يستمر العالم بدون قائد بعد أن تتأكد من أنهم قد أتقنوا ما طلبت أن يتعلَّموه جميعًا؟ أم أنك لا تراهم قد تعلَّموا بالشكل الكافي؟
*بل إنني أرى أنهم قد أتقنوا ما تعلَّموه جميعًا، ولكن وجودي لن يكون بنفس الدور الذي قمتَ به أنت وأخيك، بل سأكون مجرَّد رمز للجميع؛ حتَّى أمنع أحدًا من أن يفكِّر في السيطرة على العالم بعد الصعود من هنا، بمعنى أنني سأكون كعمود الإنارة .
سأله القائد باستغراب:
*ماذا تقصد بهذا التشبيه؟
*إن عمود الإنارة له خاصيتين اثنين، فهو ينير المكان، مما يمنح السائرين رؤية واضحة لرؤية طُرقِهِم، وفي نفس اللحظة فهو يحمي الأبرياء من الخطر، وذلك

بأن ينير المكان، ويجعل الأمر واضحًا أمام الجميع، وهذا ما سأكون عليه، فكما سأقوم بإرشاد الناس إلى طُرقِهم التي تنفعهم، سأكون حائطًا أمام كل من يريد الشر بأي شخص، كائنًا من كان .

نظر القائد إلى محمود لبعض الوقت .

كان يتأمل ذلك الشاب الذي من النادر أن تنجب الأيام مثله .

ذلك الشاب الذي خرج بخطَّة مجنونة، لم يجرؤ أحد في العالم من قبل أن يجربها .

ولكنها نجحت واختصرت أكثر من منتصف الطريق الذي طالما أرهق كاهل القائدين .

وبكل اعتزاز قال القائد:

*لا أعرف كيف أشكرك يا محمود، لقد قمتَ بما كان يراه العالم مستحيلًا .

*لا يوجد مستحيل يا سيدي، إن الحياة ما هي إلَّا طُرُق متشابكة، الواقع بالنسبة لنا هو ما تلمسه أيدينا وتراه أعيننا، والمستحيل هو الطريق الوحيد الذي لم يجربه أحد، ولكن ما أن نبدأ باتخاذ هذا الطريق، يصبح هو الآخر واقعًا حيًا .

قال القائد بنبرة إعجاب:

*صدقتَ تمامًا .

ساد الصمت بعض الوقت، حين سأل القائد:

*متى ترى أن نبدأ بتنفيذ الخطوة الأخيرة؟

*أنا أحب أن أكون مستعدًا للأسوأ دائمًا، ولذلك فأنا أرى أن نبدأ التنفيذ منذ اليوم، إن أمامنا سنةً واحدةً حتَّى نخرج من هنا، وأنا أرى أن نستغل كل ثانية فيها؛ حتَّى لا يخطفنا الوقت .

*إذًا؟

*إن عدد الملاجئ ثمانية وعشرون ملجًا، إذًا فعلينا ألَّا نبقى في الملجأ الواحد لأكثر من أسبوع ونصف، ننتقل بعد ذلك إلى الملجأ التالي، وبهذا سيكون لا يزال لدينا ستَّة أسابيع إضافية .

صمت محمود قليلًا يفكر، ثم قال:

*ستكون مهمتنا طوال الاثنين وأربعين أسبوعًا ليس فقط إعلام الناس بقيادتي، ولكن أيضًا إخبارهم عن أهم الأشياء التي سيحرصون على فعلها فور صعودنا إلى الأعلى .
*وماذا عن الأسابيع الستَّة المتبقية؟
*سنختصُّ هذه الأسابيع في تعليم الذئاب واجباتهم فور صعودنا إلى السطح؛ فسيكون لهم الدور الأكبر في البداية، عليهم أن يضمنوا أن الجميع سيكونون في مكان واحد فوق السطح في البداية؛ لحين التخطيط لتقسيم السطح .
ابتسم القائد بحزن، وقال:
*تقصد أنك ستقوم بالتخطيط، لا تأمُل كثيرًا أن أكون بجانبك حينها يا محمود، وأنت تعلم ذلك جيدًا .
كانت هذه الجملة -بالذات- هي التي طالما خشي محمود أن يسمعها، لقد كانت كالملح الذي وُضعَ داخل الجرح، مسببًا الألم القاتل، والحزن العميق .
وللمرَّة الأولى أمام القائد، وربما في حياته كلَّها، بكى محمود .
وتحوَّلت الدمعة الأولى إلى مجموعة دموع، وتحوَّلت مجموعة الدموع إلى بحرٍ كثيف .
أو هو محيط، محيط من الدموع .
ولكن يبدو أن القائد لم يكن صادقًا .
في اللحظة التي وضع محمود يده على عينيه ليوقف هذا الشلال من الدموع، سمع شهقة خافتة .
وفتح محمود عينيه أمام الحقيقة المُرَّة .
لقد كانت هذه الشهقة هي آخر نفسٍ يأخذه القائد من هذه الحياة .
قام محمود واقفًا، ووضع يده عند موضع قلب القائد .
ولكنه تراجع مصدومًا .
لقد توقَّف القلب تمامًا .
حاول محمود أن ينعش القائد ببعض حركات الإسعاف الأولية التي تعلمها عند انضمامه إلى الذئاب، ولكن بلا فائدة،

لقد توفِّي القائد .
لقد تركه ليكمل هذه المهمة شديدة الصعوبة وحده .
تركه ليواجه الملاجئ جميعها بالحقيقة المُؤكدة، ولأوِّل مرَّة في حياته .
وفي هذه اللحظة التي خلَّدها التاريخ بالتأكيد في ذاكرته التي لا تُمحى .
صرخ محمود .
صرخ بصوتٍ ملأته اللوعة، وغمره الحزن .

* * *

وقف محمود، سارة، ومجدي أمام تربة صغيرة زُرِعَ فوقها قطعتين من الرخام، وقد نُحِت اسما القائدين على هاتين القطعتين .
كان الجو مشغولًا بالحزن والكآبة .
وفي هدوءٍ، بدأ محمود بتلاوة بعض آيات القرآن على روحيهما .
وانتهى بأن نطق الثلاثة كلمة "آمين" .
مرَّت بضع ساعات منذ أن عاد الثلاثة من قبر القائدين، اجتمعوا بعد ذلك في كوخ القائد .
جلس مجدي وسارة أمام محمود وقد شملهم السكون طويلًا، حتَّى لتشعر أنهم قد تحوَّلوا أصنامًا لا تشعر ولا تتحدث .
وبتردد، نطقت سارة:
*ماذا الآن؟
ترددت جملتها داخل الكوخ كالهواء الساخن الذي ذهب ولم يَعُد .
أحد لم يكن يعرف ماذا يقول .
ولكنهم كانوا يعلمون أن المسؤولية تقع على عاتق محمود وحده .
محمود الذي كان يجلس بينهما جسدًا فقط، أما روحه فيبدو أنها قد انتقلت إلى مكانٍ آخر .
مكانٌ يمكننا أن نصفه بالسواد التام كالفضاء .
بل إن حتَّى الفضاء يتلألأ بالنجوم .
أما هذا المكان فقد كان ظلامًا فقط، ظلام بلا نور،

ولكنه فتح عينيه فجأة، وقد انتفض جسده بمنتهى العنف، وكأنه قد عاد للتو من الموت .
كان السبب هو أن قامت سارة بهزِّه قليلًا .
لقد قلقت أن يُصاب بمرض نفسي، وفي هذا الوقت الحسَّاس بالذات .
وقالت بحزم:
*استيقظ يا محمود، الجميع يعتمد عليك الآن، لا تخذلهم، كن محمود الذي طالما كان من أقوى وأشجع الرجال، وأكثرهم امتصاصًا للصدمات .
لم يعتقد مجدي أن تنجح هذه الكلمات في إخراج محمود من حالته .
ولكنها -بطريقةٍ ما- نجحت .
لقد تغيَّرت ملامح محمود جميعها، وانقلبت تمامًا .
وانقلبت نظرة الحزن والكآبة في عينيه، إلى نظرة عزم،
قام واقفًا، وبدأ يسير في أنحاء الكوخ بسرعة نسبيَّة،
لم يكن أحد يعرف ماذا يفعل، ولكنه كان يضع في هذه اللحظات القليلة خطة كاملة .
لقد وُضِعَ داخل هذا السباق سواء شاء أم أبى، وهو لن يستسلم .
لن يستسلم أبدًا، وحتَّى النهاية .
وكما وقف فجأة، جلس أمامهما بنفس الطريقة .
وبدأ الحديث قائلًا:
*لقد أدرتُ الموضوع في رأسي آلاف المرَّات، ولقد رأيت أن الخطَّة قد شارفت على الاكتمال ولكنني سأحتاجكما أنتما الاثنان بجانبي .
قال مجدي وقد سَعَدَ أن محمود قد استعاد نشاطه من جديد:
*نحن هنا من أجلك يا محمود .
نظر محمود إلى سارة بنظرة تساؤل، لتقول هي:
*سنساندك جميعًا إلى النهاية يا محمود .
قال محمود بابتسامة:
*في هذه الحالة، أكون قد أتيت بخطَّة .

---

صمت الاثنان تمامًا، وتركا لمحمود العنان ليكشف عن خطته بالكامل .

*  *  *

*إن الجو هادئٌ كثيرًا هذه الأيام، تُرى هل ستمضي هذه الأسابيع الستة بنفس الهدوء الذي كان طوال الفترة السابقة؟

نطقها زوجٌ داخل أحد الأكواخ في الملجأ "ش"، محدِّثًا زوجته التي جلست في مقابلته، حين ردَّت قائلةً:

*أنا أشعر أنها ستمضي سريعًا، وأننا لن نشعر بها .

*أتمنَّى ذلك من كل قلبي .

صمت الاثنان قليلًا، حين قام الزوج واقفًا فجأة، واتجه إلى النافذة الصغيرة في منتصف الكوخ، ووضع أذنه اليمنى مستمعًا .

*ماذا هناك يا جون؟

أشار إليها جون أن تهدأ حتَّى يمكنه سماع ما يحدث جيدًا،

ثم ابتعد قليلًا وهو يقول بفرح:

*إنه القائد .

*هل أنت متأكد؟

*أنت تعلمين أنه الوحيد الذي يتنقَّل مستخدمًا عربة الأحصنة .

ابتهجت الزوجة، وقالت:

*ماذا ننتظر إذًا! فلنذهب لنتأكد إن كان سيلقي خطابًا ما .

تحرَّك الزوجان بسرعة إلى المنصَّة القابعة في الناحية الشرقية من الملجأ، وكما توقَّعا فقد كانت تقف هناك العربة السوداء، التي يجرها اثنان من الخيول الأصيلة .

وهناك، فوق خشبة المنصَّة، وقف الثلاثة محمود، سارة، ومجدي خلف الستارة الحمراء .

قال محمود مخاطبًا مجدي:

*أنت تعلم ما ستقوله، صحيح؟

أومأ مجدي برأسه بهدوء، انحنى أمام محمود، وخرج واقفًا أمام الجماهير .

بدأ مجدي يتحدَّث باللغة الجديدة التي تعلَّمها الجميع خلال الفترة الماضية، وقال:
*أعزَّائي قاطني الملجأ "ش"، لقد أخبرني حكيمٌ ذات يوم أنه مع رحيل كل روح من هذا العالم، تأتي روحٌ ثانية لتحل محلها، ويبدو أنني اختبرت هذه المقولة بنفسي في الفترة الماضية، لقد أتيت إلى هنا حاملًا خبرًا مؤسفًا حقًا .
صمت مجدي قليلًا، ثم أكمل بحروفٍ متقطِّعة:
*لقد توفِّي القائد .
كان رد فعل الجميع متماثلًا .
وكأنهم جميعًا انعكاسٌ لشخص واحد .
وقد كان هذا هو نفس ما حدث في جميع الملاجئ السابقة،
ولكن مجدي استدرك قائلًا:
*ولكن القائد لم يتركنا هكذا لمصيرٍ مجهول، لقد كان يعلم من فترة أن حياته قد شارفت على الانتهاء، ولذلك فقد وضع نصب عينيه على هدف واحد، وهو إيجاد الشخص الأكثر كفاءة ليكون القائد التالي .
صمت مجدي قليلًا؛ ليحاول أن يستشف ما يجري في عقول الجميع .
أراد أن يعلم ما إن كانوا سيمتصون الصدمة كباقي الملاجئ، أم أنه سيكون لهم رد فعل مختلف .
ولكن نظراتهم كانت توحي بالانتظار .
أرادوا أن يعلموا من هو هذا الذي اختاره القائد ليكون الخليفة من بعده .
وما هي الاختلافات التي تميزه عن غيره .
وحين فهم مجدي نظرتهم إليه، اختفى مجددًا وراء الستارة الحمراء، انحنى أمام محمود، وقال:
*إنهم بانتظارك يا سيدي .
أخذ محمود نفسًا عميقًا، أزاح الستارة جانبًا، وتقدَّم أمام الجميع .
لم يكن يقف وحده أمام الجميع .
لقد وقف بجانب سارة ومجدي مواجهًا هذا الجمهور الضخم .

وبصوتٍ مرتفع يمتلئ بالعزم والقوة، قال محمود:
*كما قال السيد مجدي، لقد اختارني القائد لأكون خليفته عليكم، ولقد كان ذلك قبل خمس سنوات من الآن، ولكنني رفضت أن أكون قائدًا بالمعنى المعروف حينها، لقد أخبرت القائد عن فكرة، شعرتُ أنها أكثر إشراقًا، لِمَ لا يكون الناس قادرين على إدارة حياتهم الخاصة بأنفسهم؟ لِمَ عليهم أن ينتظروا من يرشدهم إلى الطريق الصحيح؟ أليسوا جميعًا ذوو عقل وجسد متماثل؟ أليسوا جميعًا قادرين على اختيار وتحديد مصائرهم بأنفسهم؟
صمت محمود قليلًا، ثم أكمل:
*لقد أردت أن يكون لكل شخصٍ الحرية الكاملة في اختيار مصيره، وطريقه في الحياة، ولكن كان لا بد في البداية أن نتعلَّم جميعًا الطرق الصحيحة لتطبيق هذه الخطة، ومن هذا المنطلق بدأت بنشر العلوم على نطاق أوسع، واهتممت أكثر بتعليم المبادئ الأخلاقية والحياتية التي ستساعدنا على العيش بدون الاعتماد على الآخر،
صمت محمود مرَّة ثانية .
أراد أن يعرف تأثير كلماته عليهم .
ثم أكمل:
*صحيحٌ أنني سأُلقَّب بالقائد، ولكنني سأكونُ فقط رمزًا للعدل والسلام والحياة المشرقة، لن أفرض سلطتي على أحد، وسأترك للجميع حرية العيش بأمان، بل إنني سأترك لكم جميعًا حرية اختيار القوانين التي ستسيرون عليها أنتم وأبناؤكم، على أن يرتضي الجميع بهذه القوانين، حتَّى لا تحدث بيننا الخلافات، ولكن تذكَّروا أن القانون الأوحد الذي سيبقى خالدًا إلى مماتنا هو: "لا وجود لاختراعٍ يؤذي شبرًا من الطبيعة" .
صمت محمود للمرَّة الثالثة؛ تاركًا لهم فرصة استيعاب كلامه، ثم قال:
*إن أمامنا منذ هذا اليوم، ستَّة أسابيع حتَّى تُفتَح بوَّابات الخروج إلى السطح، سيكون الخروج الكامل لجميع قاطني الملاجئ من مخرج الملجأ "ع"، وسيكون الذئاب جميعًا هم المسؤولين -كالعادة- عن حفظ السلام والهدوء، وذلك لحين

انتهاء تقسيم الجميع، سأكون طوال الأسابيع الستة القادمة في الملجأ "ع"، لذلك فأنا موجودٌ لمن يُرِد الاستفسار عن شيءٍ ما .
صمت محمود طويلًا هذه المرَّة، منتظرًا أن يسمع ردًا على كلامه .
ولمَّا لم يتلقَّى ردًّا، رفع قضبته لأعلى قائلًا بصوتٍ حازم:
*أمامكم أسبوعًا ونصف لمقابلتي هنا في الملجأ "ش"، أراكم جميعًا بعدها في الملجأ "ع" بعد خمسة أسابيع .
صاح الجميع بسعادة؛ لكونهم قد شارفوا على الصعود والخروج من هذه الملاجئ الكئيبة، التي قضوا فيها عشر سنوات .
الخروج للعودة إلى حياتهم الطبيعية مرَّة أخرى .
بل أفضل .
العودة لحياة أكثر إشراقًا .
وأملًا .

* * *

شعر جميع قاطني الملاجئ بأن دهورًا قد مرَّت قبل أن تنقضي الأسابيع الخمسة الباقية .
كانوا جميعًا يتوقون إلى الشعور بإحساس الحياة الطبيعية مرَّة أخرى .
يتوقون إلى أن تلفح الشمس وجوههم في عزِّ أوَجُها،
ويتوقون للنظر إلى الجبال الجليدية العالية، والأراضي الخضراء الزاهية .
أما بالنسبة لمن بقي في الملجأ "ط"، فقد كان الوقت صعبًا وطويلًا عليهم .
لقد بذل الذئاب كل جهودهم في تعلُّم وإتقان كل ما سيحتاجونه لحفظ النظام بين الناس .
حتَّى أن محمود لم يذُق من النوم إلَّا قليلًا .
لقد كان يجوب الملجأ شبرًا شبرًا في كل يوم؛ ليتأكد من أن الأمور جميعها تسير على ما يرام .
ولقد كان فخورًا بما قدَّموه طوال هذه الفترة .
لقد وضع ثقته الكاملة فيهم، ويبدو أنهم لم ولن يخذلوا هذه الثقة .

ولقد جاء اليوم قبل الأخير، وشهد الملجأ "ط" ازدحامًا لم يشهده مكانٌ من قبل .
وقف الجميع أمام منصَّة ضخمة، تم صنعها خصِّيصًا لهذا اليوم .
ووقف فوق المنصَّة تسعة أشخاص نعرفهم جميعًا، وهم محمود، الذي يقف في المقدمة أمامهم جميعًا، سارة، وتقف في المقدِّمة بجانب محمود، ومجدي الذي يقف بجانبهما .
وفي الخلف وقف ستَّة أشخاص بجانب بعضهم البعض،
وهم هاشم، وسامح، وسلمى، وفاروق، ودافيد، بجانب آلاء .
ولمعرفة سبب وجود آلاء والفريق العلمي فوق المنصَّة مع محمود والآخرين، وأيضًا لمعرفة سبب وجود الجميع في الملجأ "ط"، وليس الملجأ "ع"، علينا أن نعود بالزمن أسبوعين إلى الوراء .
جلس محمود داخل الكوخ الموجود في الملجأ "ع"، وأمامه جلس مجدي وسارة يناقشون بعض الأمور المستقبلية، حين خرج مجدي بناءً على طلب محمود لأداء بعض المهام،
وحين غادر مجدي الكوخ، قالت سارة بهدوء:
*لقد اقترب موعد الخروج يا محمود، لا أصدق أنني سأرى إشراق الشمس مرَّة أخرى بأم عيني .
كانت تقول جملتها وهي تنظر نحو باب الكوخ، وحين لم تَحِر ردًّا من محمود نظرت إليه .
ولكنها لم تكد تفعل حتَّى أطلقت شهقة عالية .
لم يكن محمود يجلس كما هو شابكًا ساقيه، واضعًا يده اليسرى تحت ذقنه كلَّما استغرقه التفكير .
لقد كان واقفًا، وقد اتَّكأ على إحدى ساقيه، وثانيًا ساقه الأخرى فوق الأرض .
ممسكًا في يديه صندوقًا خشبيًا، وُضِعَ في منتصفه خاتم من الفضة، وفوقه ارتكزت بلَّورة شديدة اللمعان .
مدَّ محمود يديه بالصندوق نحو سارة في مشهد كما الروايات الرومانسية .

---

وقال، وقد تحوَّل وجهه إلى شيءٍ أحمر من فرط الخجل:
*هل تقبلي بي زوجًا لك يا سارة؟!!
وصمتت سارة، لا تعلم ماذا تقول .
إنها لم تتوقَّع أبدًا أن يفاجئها محمود بذلك، ولكن ها هو يفعل .
ثم إنه قد أكمل، حين وجدها عاجزة عن النطق، وقال:
*أعلم أنني قد فاجأتك، وأنني قد فعلت ما فعلت بدون تخطيط مسبَق، ولكنني لا أعلم ما الذي يمكن أن يحدث بعد صعودنا إلى السطح، ولذلك، وأيًا كان ما سيحدث، فأنا أريد أن أكون بجانبك حينها، فما قولك؟
وبكل فرحة الدنيا، قالت سارة:
*لماذا تأخرت في طلبك أيها الأحمق؟
أمسكَ محمود بالخاتم، وقام بوضعه في أصبعها البنصر، ونظر إلى عينيها نظرة استمرَّت لخمس دقائق، ولكنها بالنسبة لهما قد استمرَّت دهورًا وقرون، ثم قام الاثنان مغادرين الكوخ، ومتَّجهين إلى مكانٍ واسع قام محمود بتجهيزه خصوصًا لهذا اليوم .
ولكن لندع رواية الحب هذه، فجميعنا نعلم أن قصتنا لم توضع لتصف هذا الزوج السعيد، ولكن كان هناك ما هو أهم من هذا كلِّه .
فعلى صعيدٍ آخر، في مكانٍ ما في الملجأ "ق"، جلس الفريق العلمي في كوخهم الجديد الذي استقرُّوا فيه بعد أن جاءت الأوامر بالانتقال إلى ملجأ مختلف .
*إن هذه كارثة يا سامح، كارثة بكل معنى الكلمة .
*أنا أعلم هذا يا هاشم، وهذا ما جعلني أحضركم جميعًا إلى هنا في هذا الوقت من الليل، فالأمر لم يكن لينتظر ثانية واحدة .
صمتَ هاشم قليلًا، وقالت سلمى:
*ولكننا حتَّى الآن لم نجد حلًّا لهذه الكارثة، وهذا ما جعلنا نحضركم جميعًا .
قال فاروق:
*أنا متأكد من أن هناك حلًّا ما، ولكن ما هو؟
صمت الجميع مرَّة أخرى، حين تحدَّث دافيد قائلًا:

*أنا أعلم أنني أثقل عليكم يا رفاق، ولكن أيمكن لكم أن تشرحوا الموقف مرَّة أخرى!! فأنا لا أعتقد أنني استوعبت ما تحدَّثتم عنه .

أخذ سامح نفسًا عميقًا، وقال:

*لقد قمت أنا وسلمى بدراسة ومراجعة كل ما نعرفه عن السطح، كل شيء من علوم فلكية وجيولوجية .

أكملت سلمى:

*ولقد وجدنا أن معدَّل امتصاص الأرض للماء، بالإضافة إلى معدَّل تبخُّر هذا الماء سيكون قد انتهى بالفعل -كما قال الخبراء من قبلنا- في حدود عشر سنوات .

صمتت سلمى، ليكمل سامح:

*ولكن هذه المعادلات ستكون صحيحة تمامًا إذا تغافلنا عن شيءٍ مهم في هذه المعادلة، وهو الأمطار .

قال هاشم مفكرًا:

*إن الأمطار ستستغرق وقتًا إضافيًا؛ وذلك لأنها ستعيد بعض الماء المتبخِّر مرَّة أخرى، خصوصًا في المنطقة الغربية من العالم؛ وذلك لأنها الأقرب إلى الجهاز الحراري الذي تسبَّب في هذه الكارثة، كيف لم يفكِّر العلماء في هذا؟

*لا تنسَ أننا أيضًا قد غابت عنا هذه المعلومة .

صمت الجميع قليلًا، في حين قال دافيد:

*في هذه الحالة، أعتقد أن لديَّ اقتراحًا ما .

نظر إليه الجميع، فقال:

*إن هذه الملاجئ ستكون بلا فائدة بمجرَّد أن نخرج من هنا، أليس كذلك؟

أومأ الجميع برؤوسهم بالإيجاب، فأكمل:

*لِمَ لا نقوم إذًا بِجرِّ الماء إلى إحدى هذه الملاجئ، في حين يقوم الآخرون بالخروج من الملاجئ الأخرى؟

قال هاشم:

*هناك سببين لعدم إمكانية حدوث ذلك، الأول هو أنه سيكون هناك من يجب أن يضحِّي بنفسه؛ وذلك لأنه بمجرد دخول الماء من أحد الأبواب، سيفيض الماء

في كل اتجاه، مما يسبب لهذا الشخص الموت المؤكد . والثاني هو أنه حسب المعادلة الجديدة، فإن الماء المتبقِّي في الأعلى لا يزال ضخم الكمية، مما يعني أنه سيغطِّي على الأقل ثلاث ملاجئ متتالية .

قال دافيد:

*وماذا لو أننا قمنا بدمج حبلٍ مثلًا في الباب المُراد فتحه، بحيث يصل هذا الحبل إلى الملجأ الذي سنخرج منه، وأن يكون الملجأ الذي سنخرج منه جميعنا بعيدًا بخمسة ملاجئ على الأقل عن الملجأ الذي ستنهمر فيه المياه؟

صمت الجميع مفكِّرين في هذا الاقتراح لفترة، ثم قالت سلمى:

*أيًا كان ما اتفقنا على فعله، فلنبلغ به القائد سريعًا؛ حتَّى يبدأ مبكرًا في تنفيذ هذه الخطة .

وبدون تبادل أيَّة كلمات إضافية، قام الجميع متَّجهين نحو الملجأ "ع" حيث يوجد القائد .

وصلوا إلى هناك بعد أيامٍ ثلاثة، واستقبلهم محمود داخل كوخه .

بعد أن استمع محمود إلى ما لديهم تمامًا، نظر إلى سارة وقال:

*ما رأيكِ فيما سمعتِ يا عزيزتي؟

*أنا أرى أن حديثهم صحيحٌ تمامًا يا محمود، ولكن أنا اقترح أن نستشير آلاء، فأنت تعلم كيف أن نصيحتها قد أنقذتنا في المرَّة السابقة .

صمت محمود قليلًا، ثم قال:

*أنتِ على حقٍّ تمامًا .

ثم نظر إلى مجدي الجالس في آخر الكوخ، وقال:

*ابعث أحد الذئاب ليحضر آلاء من الملجأ "ك" في أسرع وقت، وأريدك أن تجد كوخًا مناسبًا لهذا الفريق لحين وصول آلاء .

أومأ مجدي برأسه علامة الإيجاب، ثم خرج مع باقي أفراد الفريق .

وبعد مرور ثلاثة أيامٍ أُخَر، وصلت آلاء مع الذئب المبعوث إلى الملجأ "ع"، ووقفت مع أفراد الفريق داخل كوخ محمود .

لم تَكُن قد تغيَّرت بالرغم من مرور كل هذا الوقت، لقد ازداد وجهها إشراقًا،

وازدادت ابتسامتها بهجة، وانعكس ضوء الشموع على عينيها العسليتين ليخلق سحرًا إضافيًا . وجمالًا فوق جمالها، وانسدل شعرها الأشقر فوق كتفيها كحريرٍ مغمور في وعاءٍ من ماء الذهب الخالص .

شَرَحَ لها محمود كل ما قاله أفراد الفريق، بالإضافة إلى الحلول التي اقترحها دافيد، ثم اختتم حديثه بأن قال:

*ولقد اقترحت سارة أن نأخذ رأيك قبل أن نشرع في تنفيذ الخطة، فما رأيك؟

صمتت آلاء قليلًا -بدون أن تتغيَّر ابتسامتها- ثم قالت:

*أعتقد أن هذه الخطَّة جيدة للغاية، إنني لا أرى فيها عيبًا أبدًا، إذا استطعنا تثبيت الحبال جيدًا بالأبواب .

قام محمود واقفًا، وقال لمجدي بحزم:

*في هذه الحالة، أريدك أن تأخذ ثلاثة من الذئاب وتتَّجه إلى الملجأ "م"، وتقوم بتنفيذ ما سمعته للتو .

قالت آلاء:

*انتظر يا محمود، إن لديَّ لك سؤال؟

*وما هو؟

*لِمَ اخترتَ الصعود من الملجأ "ع" بالتحديد؟

*إن هذا هو نفس الملجأ الذي أتيت منه، ولذلك فأنا . . . .

صمت محمود قليلًا، لم يكن لديه حقًا السبب الكافي ليقوله . فأكملت آلاء:

*لِمَ لا نصعد من الملجأ "ط"؟ أنت تعلم أن هذا الملجأ يقود إلى "المملكة السعودية"، وهي من أكثر المناطق حرارة، وبذلك ستكون الأرض أكثر جفافًا حين نصعد .

اتسعت عينا محمود، وقال:

*إنها فكرة جيدة بحق، ولكنها ستتطلب أن ننتظر حتَّى يجتمع الجميع في الملجأ "ع"، ثم ننتقل جميعًا إلى الملجأ "ط" .

أومأ الجميع برؤوسهم علامة الموافقة، وانطلق مجدي ينفذ ما أمره به محمود، في حين اقتربت سارة نحو آلاء، قالت بصوت خفيض يدل على الخجل:

*لقد تزوجت أنا ومحمود .
لا أحد -حتَّى أنا- يستطيع أن يصف تلك السعادة التي شعرت بها آلاء في تلك اللحظة، لقد احتضنت سارة بعنف، حتَّى كانت على وشك أن تسبب لها الاختناق، وقالت بفرحة شديدة:
*مباركٌ لكما يا سارة، يا إلهي!! أليست هذه أخبارًا رائعة!!
ابتسمت سارة في خجل، في حين وجَّهت آلاء نظرها ناحية محمود، وقالت:
*مباركٌ لكما الزواج يا محمود، أتمنَّى لكما حياة رائعة .
وكما فعلت سارة، فقد ابتسم محمود في خجل، وأشار بيده قائلًا:
*شكرًا لك يا آلاء .
صمت قليلًا ثم استدرك، قائلًا:
*حيث أننا جميعًا سنغادر إلى الملجأ "ط"، فما رأيك أن تبقي هنا في الملجأ "ع" حتَّى ننطلق جميعًا؟ سوف تسكني في كوخٍ قريب لحين مغادرتنا نحو الملجأ "ط" .
قالت آلاء بابتسامة واسعة:
*شكرًا لك على ضيافتك يا محمود .
*لا شكر على واجب يا آلاء، إن لكِ الفضل الأكبر فيما وصلنا له حتَّى الآن .
خرجت آلاء من الكوخ بعد أن حيَّتهما، واتجهت مع مجدي إلى حيث سيكون كوخها الجديد، ومضى باقي اليوم بهدوء، واستمرَّت الوتيرة نفسها التي شملته منذ فترة .

* * *

كان اليومُ مزدحمًا كما لم يشهد أحد من قبل .
لقد كان عدد الأشخاص الموجودين داخل الملجأ "ع" يوحي بأن هذا الملجأ لن يلبث أن ينفجر بكل هؤلاء البشر، ولكن العجيب أن هذا لم يحدث، بل لم يقترب حتَّى من الحدوث .
لقد تعاون كلٌ من الذئاب والبشر جميعهم بطريقة لم يشهد التاريخ مثلها يومًا، حتَّى لقد حدثت المعجزة، ولقد استقبل الملجأ "ع" الجميع معًا .

لقد كانوا جميعًا يقفون صفوفًا عرضية، بانتظامٍ لم يسبق أن حدث على مر العصور .
وفوق المنصَّة الوحيدة الموجودة في شمال الملجأ، وقف محمود بشموخ، وبدأ بالتحدُّث عمَّا قام بمناقشته مع آلاء وأفراد الفريق .
وفور أن أنهى حديثه، بدأ الجميع يتَّجهون بهدوء نحو الملجأ "ط" .
وكان في الصف الأخير يسير محمود، وسارة، ومجدي، وآلاء، وأفراد الفريق العلمي .
ممسكين ببضعة حبال متينة، صُمِّمت خصِّيصًا لفتح الباب الموجود في الملجأ "ك" .
وكان اتجاههم جميعًا هو الملجأ "ط" كما اقترحت آلاء .

* * *

مضت ثلاثة أيام قبل أن يصل الجميع إلى الملجأ "ط" .
وقد قاموا بالاصطفاف جميعًا داخل الملجأ، تمامًا كما كانوا في الملجأ "ع" .
وفي هذه اللحظة بالتحديد، نعود معًا إلى اللقطة التي توقفنا عندها .
لقد وقف التسعة -الذين بِتنَا نعرف سبب وجودهم الآن- فوق المنصَّة الموجودة في الملجأ "ط"، وبدأ محمود الحديث قائلًا بصوته العالي والحازم، وبلغته الحديثة التي صار الجميع يفهمونها ويتحدثونها بطلاقة:
*أعزَّائي قاطني الملاجئ، لقد أصبح حلمنا قاب قوسين أو أدنى، فبعد ثلاثة أيام سنسحب هذه الحبال التي تأتي من الملجأ "ك"، وبعدها بثلاثة أيامٍ أُخَر سنقوم بفتح باب الخروج من هذا الملجأ، وسنتَّجه إلى هناك، إلى السطح .
صمت قليلًا وقد شاهد نظرات الإعجاب على وجوههم، ثم قال:
*إن كان بيننا متشائمٌ واحد، فليجلس في صمت، فبعد أيامٍ ثلاثة ستعود الحياة إلى الأفضل، وسنُري هذا المتشائم ماذا تعني -حقًا- كلمات الأمل والحياة السعيدة .

* * *

مَضَت الأيام الثلاثة الأولى كثلاثة قرون للجميع .

وحينها اجتمع الجميع أمام المنصَّة؛ منتظرين أن تُشَد الحبال .
وبالفعل، وقف محمود، ومجدي، وهاشم، وسامح، وفاروق ممسكين بالحبال، وعندما أعطى محمود الإشارة، بدأ الجميع بشدِّ الحبال بقوة .
استغرق الأمر ساعة كاملة قبل أن يتأكدوا من أن الأبواب قد انفتحت، ولقد قاموا بتعليق بعض الحبال بطول الحائط، وهي ما استخدموه لمعرفة ما إن دخل الماء بالفعل أم لا، وأيضًا لمعرفة إلى أي ملجأ وصل الماء .
وعندما تأكدوا من أن نظريتهم قد نجحت، كان قد بقي لديهم ثلاثة أيام أُخَر يقضوها في الملجأ "ط"؛ وذلك ليتأكدوا من أن الماء المتبقي في الأعلى قد جفَّ تمامًا .
وبعد أن قضوا أصعب ثلاثة أيام في حياتهم، حيث كانت مواضع نومهم -كما دخلوا الملاجئ في المرة الأولى- فوق الأرض الصلبة .
وفي يومٍ من هذه الأيام الثلاثة، اجتمع محمود، وسارة، ومجدي بكل من آلاء وأفراد الفريق العلمي في أحد الأكواخ .
سأل سامح:
*ماذا تعتقد الشيء الأول الذي يجب فعله فور الصعود إلى السطح أيها القائد؟
قال محمود:
*إن أول وأهم شيء هو استخدام الأرض الموجودة في الأعلى جيدًا، فأنت تعلم أنه بعد كل هذه المياه التي حصلت عليها الأرض، ستكون تربة خصبة للغاية، ولذلك سنستثمرها جيدًا للحصول على أغذية كثيرة؛ وذلك لأن المُؤن المتبقية هنا لن تصمد طويلًا .
قال هاشم:
*ولكن، ألسنا نحتاج إلى حبوب وسماد للزراعة؟
*أنا أعلم ذلك، لقد احتفظ القائدان -رحمهما الله- بالكثير من الحبوب المختلفة الصالحة للزراعة، بل في الواقع، لقد احتفظا بكل أنواع الحبوب التي نعرفها .
قالت آلاء:
*وماذا ترى بعد ذلك؟

*سنتَّبع نفس الطريق الذي سرنا فيه في الملاجئ، سيبدأ كل فرد في بناء مهاجع بدائية تصلح للنوم، ولكن ذلك سيدوم فقط لأسبوع واحد، يبدأ بعدها الجميع بمغادرة مكان التجمُّع، وتتجه كل مجموعة إلى مكانٍ آخر، مصحوبين بمجموعة من الذئاب، وسيكون تقسيم السطح كلُّه بالعدل .

*  *  *

وجاء اليوم الموعود .
يوم الخروج، يوم الخلاص .
اليوم الذي انتظره كل بشري لعشر سنواتٍ كاملة .
اليوم الذي سيكتبه التاريخ في سجلِّه الخالد، وسيرويه الجميع إلى حين فنائهم,
كان الجو مشحونًا بمختلف المشاعر والأحاسيس .
بعض هذه المشاعر دلَّت على القلق، وبعضها دلَّ على الأمل والتفاؤل .
ولكن هذه المشاعر جميعًا اجتمعت على شيءٍ واحد،
أن القادم سيكون أفضل بكثير مِّما سبق، وأن الحياة -أيًا كان شكلها- ستكون ساحرة كما لم تكن من قبل .
وقف محمود بجانب سارة ومجدي أمام البوابة الضخمة التي تؤدي إلى الخروج من الملجأ، وأمسك كلٌ منهم بذراعٍ من أذرع الباب الثلاثة .
شمل الجميع سكونٌ مهيب .
سكونٌ لم يكن أحد يتخيل أنه من الممكن أن يوجد .
وفي نَفَسٍ واحد صرخ الجميع بأعلى ما لديهم . "الآن" .
وجذب الثلاثة أذرع الباب .
وبدأ الحلم الذي عاشه الجميع لعشر سنواتٍ بالتحقُّق،
حلم العودة .
والصعود .

*  *  *

# الفصل الثاني عشر: الختام

بدأ الشباب في الالتفاف حول دافيد للمرة ال . . .
حسنًا، لا أعتقد أننا نهتم بعدد المرَّات التي اجتمعوا فيها معه .
ولا أعتقد أنهم كانوا يهتمون بهذا في الأصل .
لقد التحمت عقولهم مع التفاصيل التي يحكيها دافيد، حتَّى أنهم لم يعودوا يشعرون بما حولهم .
لقد قام عقلهم الباطن بمحو كل ما يعرفونه في هذه الحياة -ربما ليس طريق عودتهم لمنازلهم- ولكن رواية دافيد كانت تشغل الأولوية الأولى والقصوى .
وكأنها المهمَّة الوحيدة التي خُلِقوا لأدائها، وهي الاستماع لما يقوله دافيد .
ودافيد هذا لم يكن بخيلًا أبدًا .
لقد أطلعهم على كل ما حدث، وبكل التفاصيل .

* * *

إن اجتمع أُدباء العالم أجمع في هذه اللحظة،
إن خرج شكسبير من صومعته التي اتَّخذها للكتابة،
ووقف بجانب تشارليس ديكنز ذلك الداهية في الكتابة،
ثم تلاقوا جنبًا لجنب مع بيكاسُّو بريشته الزاهية، وألوانه البرَّاقة .
وبدأ الرائع بيتهوفن جرَّ أصابعه فوق رقعة البيانو الواسعة، وبكل ما يعتمل في نفسه من إعجاب .
ثم شاركهم الدكتور أحمد خالد توفيق في محاولة تعبيره عمَّا يراه .
فإنهم حقًا لن يستطيعوا -بأي حال من الأحوال- أن يصفوا هذا المشهد البديع الجمال .
فبمجرَّد أن جذب أبطالنا الثلاثة محمود، وسارة ومجدي أذرع باب الملجأ،

حتَّى انطلقت من الجميع شهقة مدوِّية .
فلتترك كوب القهوة في يدك، ولتصطنع الخرس أمام طفلتك التي تجذبك من ياقتك؛ طالبةً انتباهك، ولتلقي بتلكم السيجارة التي تنبش في يدك، منتظرة أن تلتهم فيهك أعنف التهام، ولتتخيَّل معي كيف تكون شهقة سكان كوكب كامل .
أليست ضخمة؟!
ألم تتساءل عن سبب صدور هذه الشهقة؟!
حسنًا، سأخبرك .
لقد انفتحت الأبواب، ليطالع الجميع ذلك المنظر الساحر،
النجوم تصطف في سماء الكون، في مشهد لا يتكرر في الحياة مرَّة أخرى .
ذلك الشهاب اللامع يجوب السماء بسرعة نسبية، وكأنه قد جاء ليطمئن على خروجهم .
نسمة هواء باردة تجوب المكان، أحسَّ الجميع بأنها تهنئهم .
ثم أن القمر كان بدرًا، وكأنه هو الآخر يعلن شيئًا هامًا للغاية .
لقد اكتملت الخطَّة .
لقد نجح هؤلاء البشر في اجتياز الاختبار العنيف الذي وُضِعُوا فيه .
وبدون خسائر تُذكَر .

*　　*　　*

*وماذا حدث بعد أن صعدوا يا أستاذ دافيد؟
قالها أحد الشباب الجالسين حول دافيد، فردَّ قائلًا:
*لقد بدأ محمود -منذ لحظة صعوده إلى السطح- بتطبيق الخُطَّة التي وضعها مع سارة، ومجدي، وآلاء وأفراد الفريق العلمي، ولقد كان البشر جميعهم خير عونٍ له في هذا .
صمت دافيد قليلًا، ثم أكمل:
*إن كل فردٍ في هذه الحياة يتعلم شيء ما من كل موقف يمر به، ولقد علَّمتني هذه السنوات العشر التي قضيتها داخل الملاجئ أن الإله قد جعل لكلِّ فردٍ مخرجًا من كل الهموم التي تحيط به، مهما كان حجم هذه الهموم،

لقد وصَلَت بنا الأحوال لدرجة أننا كنَّا نعبد التكنولوجيا عبادة، كانت هي عائلتنا، أصدقائنا، وجيراننا .
ولقد كان أمثالي يتساءلون عمَّ إن كان هناك مخرجًا فعلًا من هذه الحياة الكئيبة؟
ولقد أثبت البشر -حقًا- أنهم قادرين على تخطِّي كل العقبات والمصاعب .
من يصدق أننا استطعنا الخروج من عالم الشاشات هذا، بل أننا خرجنا سالمين، مستعدِّين لكل ما ستضعه الحياة في طريقنا .
لقد اختبرت –وجميع من عاشوا معي تلكم السنوات- مقولة الشاعر الخالدة:
" ضاقت فلمَّا استحكمت حلقاتها . . فُرجَت وكنت أظنها لا تُفرَج"
قال أحد الشباب:
*وماذا حدث لباقي الأبطال الذين حدَّثتنا عنهم؟
*لقد بقي محمود وسارة في المملكة العربية السعودية، وأصبح هذا مكانهم الذي يعلمه الجميع، ولكن لم يَعد يزوره الكثيرون؛ فبعد أن تم تقسيم الجميع، وبعد أن وُضِعت القوانين التي ارتضاها الجميع، أصبح محمود رمزٌ فقط .
صمت قليلًا، ثم أكمل:
*أما بالنسبة لهاشم وآلاء فقد تزوَّجا بعد سنةٍ واحدة من خروجهم من الملاجئ، وذلك حين تقدَّم هاشم لها، قائلًا: أنه قد استمرَّ طوال حياته يَدرُس الياقوت ضمن العلوم التي كان يعمل فيها، ولكنه لم يعلم طوال حياته أنه من الممكن أن يتَّخذ الياقوت شكل بشرٍ أبدًا، وأنه لم يختبر ذلك إلَّا حينما رأى آلاء، ثم استقرَّا في مصر فور زواجهما، أما فاروق فقد أصبح صاحب مزرعة ضخمة في مصر أيضًا، وذلك بعد أن تزوَّج بحسناء من نفس هذه البلد .
صمت مرَّة أخرى، ثم قال:
*بالنسبة لسامح وسلمى فقد أصبحا رحَّالين حول العالم، لم يحتملا البقاء في بلدٍ واحدة لفترة طويلة، ولا يلبثوا أن يسافرا إلى البلد الأخرى .
ضحك أحد الموجودين، وقال:
*إذًا فقد تزوَّج الجميع، لماذا لا تتزوَّج أنت أيضًا يا أستاذ؟

ابتسم دافيد، وقال:
*إن الزواج -بالنسبة لي- قيدٌ لا أحب أن أكبِّل به يداي، وإلَّا حينها لم أكن لأكون فارغًا لأجلس معكم، وأحكي لكم عن تلك التفاصيل الكثيرة .
قال آخر:
*أتعلم يا أستاذ دافيد؟ لقد كنت أفكر أنا أيضًا في أن أكون رحَّالًا حول العالم .
قال دافيد بحماس:
*في هذه الحالة، أريد أن أطلعكم على ثلاث معجزات كونية، هي الوحيدة التي لم تفنَ إثر حدوث الكارثة الكبرى .
أولها: أهرامات مصر العظيمة، لقد بقيَت شامخة كما هي، يحرسها ذلك التمثال الذي لم أفهم كنهه حتَّى الآن، وهو السفنكس .
ثانيها: الكعبة المُشرَّفة، وبالرغم من كوني أتَّبع ديانة مختلفة عن ديانة الإسلام، إلَّا أنني أعتبرها معجزة غير ذات تدخُّل آدمي، كون هذا البناء الذي لا يتكوَّن إلا من بضع طبقاتٍ من الطوب، يصمد أمام تلك الكارثة .
وثالثًا: القدس، ذلك المبنى المشترك في فلسطين، ذلك المبنى الذي حيَّر الخبراء كلهم في إمكانية بقاءه على قيد الحياة حتَّى الآن .
صمت قليلًا ثم قال:
*ها هو الليل قد بدأ يرمي بنجومه على السماء الصافية، ولذلك فستأتون جميعًا معي للداخل للمشاركة في العشاء الضخم الذي أعددته اليوم .
قال أحدهم متسائلًا:
*ولكن لِمَ هذا العشاء الضخم يا أستاذ؟
*ألم أخبركم؟!!
لقد حضر أبطال حكايتنا جميعًا، ومن كل أنحاء العالم،
لقد جاؤوا ليشاركونا هذا الوقت المميز من العام من شهر يوليو، في هذا الجو الرائع من فصل الصيف، وفي هذا الحقل الذي لا يختلف كثيرًا عن باقي الحقول المنتشرة بكثرة في كل مكان في العالم .
وليس أي عالَم .

بل إنه فقط في هذا العالم .
عالَم جديد .

* انتهت بحمد الله *

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution


## تواصل معنا :

**01067000701**

**E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com**

**Facebook .Com/Fasla .Pub**


---